اللآلئ البهية

في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف

العلامة أحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي

تعليق

الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان

تخريج

لجنة من طلاب العلم بتكليف من دار المسلم

ح دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المرداوي ، أحمد عبدالله

اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمة - الرياض.

.....ص ؛ .....سم

ردمك : ١-٩-٠-٦٣٢-٩٩٦٠

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٧/٠٣٨٤

رقم الإيداع : ١٧/٠٣٨٤

ردمك : ١-٩-٠-٦٣٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

الصف والإخراج

مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني

دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله العلي الكبير السميع العليم الخبير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المريد[١] القدير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير، ﷺ، وعلى آله وأصحابه ما أفل باطل واتضح الحق المنير.

أمـا بعـد:

لما وقفت على أبيات عديدة، جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف، مفيدة حاوية لأمهات مسائل الاعتقاد تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وكنت منذ زمن أتطلب لها شرحا جامعا، لأكون خلفه تابعا فلم أجد شيئاً من ذلك.

فاستخرت الله تعالى وطلبت منه المعونة والسداد أن أضع عليها شرحا مفيدا يُذكر الطالب ويفيد الراغب، جانبت فيه الإطناب الممل والاختصار المخل، ورتبته على عدة فصول، ومقدمة، وخاتمة،

(١) لو قال الفعال لما يريد لكان أحسن لأن مجرد إثبات الإرادة ليس فيه مدح. (ف).

وضعته لنفسي ولمن شاء الله من بعدي، لضرورة كونها لم تشرح وإلا فلست من أهل ذلك الشأن ولا من خيل ذلك الميدان.

وسميته اللآلىء البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية. وأسأل الله أن ينفع به من اشتغل به وأن يتغمده برحمته إنه أرحم الراحمين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة تشتمل على عدة تعريفات

الأول منها: اعلم وفقك الله تعالى أن الملة المحمدية تنقسم إلى نوعين(١). اعتقاديات وعمليات.

فالأولى هي التي لم تتعلق بكيفية عمل، مثل اعتقاد وجوب وجود الباريء القادر المختار، ووحدانيته(٢)، وتسمى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل؛ وتسمى فرعية. فالمتعلق بالعملية هي علم الشرائع والأحكام لأنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع.

والمتعلق بالاعتقاديات: هو علم التوحيد والصفات وعلم أصول الدين.

ولما كان هذا العلم أهم لابتناء العمليات عليه أوردوا البراهين

---

(١) لا يعترض على هذا بما في الكتاب والسنة من القصص، فإن ما تضمنته لا يخرج عن القسمين، فما فيها من الاعتقادات هو من علم الأصول، وما فيها من الأحكام العملية فهو من الفروع. اهـ.

(٢) واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له (ف).

والحجج عليه، واكتفوا بالعمليات بالظن المستفاد من الأدلة السمعية(١).

وأيضا: فإنه لما كان عصر الصحابة خاليا من البدع الكلامية والشبه الخيالية، والخصوم المعتزلية لم يكن علم أصول الدين مدونا هذا التدوين. فلما كثرت البدع والشبه، وانتشر الخلاف دوّن علماء الأصول قواعده المعلومة لدفع شبههم وبدعهم وردهم إلى الصواب المعلوم عن النبي، ﷺ.

والمراد بعلم أصول الدين **العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية** أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا؟ وسواء توقفت على الدين الواقع ككلام أهل الحق أو لا؟ ككلام المخالف واعتبر في أدلتها اليقين لأنه لا عبرة في الظن في الاعتقاديات، بل في العمليات كما تقدم(٢).

الثاني: اعلم أنا لا نأخذ الاعتقادات الإسلامية من القواعد الكلامية، بل إنما نأخذها من النصوص القرآنية والأخبار النبوية. واستمداد هذا الفن من الكتاب المنزل على النبي المرسل والتفسير

---

(١) انظر تفصيل البحث في مجموع الفتاوى ج١٩ ص٢٠٣، تحت عنوان قاعدة جامعة. (والمراد بالظن العمل بالاجتهاد. وأما الاعتقاد فليس مجالا للاجتهاد لأنه توقيفي) (ف).

(٢) ارجع إلى رقم ١ ص٥. (ويقصد بالظن الاجتهاد) (ف).

والحديث الثابت والفقه والإجماع والفطرة[١].

وغاية هذا العلم أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا محكما لا تزلزله شبهة من شبه المبطلين.

وموضوعه هو المعلوم[٢] من حيث إنه يتعلق به إثبات العقائد الدينية. ولا شك أنه يبحث به عن أحوال الصانع من القدم والوحدة والقدرة والإرادة وغيرها ليعتقد ثبوتها مما هو عقيدة إسلامية، أو وسيلة إليها.

الثالث: من التعريفات: اعلم أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، قد تنازعوا في كثير من الأحكام وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا بلا نزاع، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال فكلمتهم واحدة لم يسوموها تأويلا. ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا. ولم يقل واحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم. وقابلوها بالإيمان والتعظيم، فأهل الإيمان إذا تنازعوا في شيء من ذلك ردوه إلى الله وإلى رسوله كما رتب عليه الإيمان، كما في قوله تعالى:

---

(١) القول باستمداد أصول الدين من التفسير والفقه غير صحيح (إلا من باب الشرح والإيضاح) (ف).

(٢) الصواب أن موضوعه ذات الله من حيث ما يجب وما يجوز وما يستحيل، وكذا الرسل من حيث ما يجب لهم وما يجوز وما يستحيل. الخ.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ الآية[١].

فكل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ردوه إليهما، إذ من الممتنع أن يأمر الله بالرد عند التنازع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع.

وقد أجمع الناس أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، ﷺ، وقد جعل الله هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه فإذا انتفى انتفى الإيمان.

الرابع: اعلم أن المراد بمذهب السلف ما كان عليه أصحاب رسول الله، ﷺ، وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم أئمة الدين ممن شهد لهم بالإيمان وعرف عظم شأنهم في الدين. وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة. أو شهر بلقب غير مرضٍ مثل الخوارج والروافض والقدرية، والجهمية، والمعتزلة ونحو هؤلاء، لكن لما كان ظهور البدع ونشوؤها بعد المائتين وأظهر المأمون القول بخلق القرآن، وظهر مذهب الاعتزال، وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وأبطل مذهبهم وزيفه وذم من ذهب إليه أو عول عليه أو مال إليه.. سيدنا وقدوتنا الإمام المبجل والحبر البحر المفضل الإمام أبو عبد الله (أحمد بن محمد بن حنبل) ـ رضي الله عنه ـ نسب مذهب السلف إليه. وعول أهل عصره من أهل الحق فمن

---

(١) النساء: ٦٥.

بعدهم عليه ألا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور.

قال الإمـام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه: (الإبانة في أصول الديانة) وهو آخر مصنفاته ما نصه:

فإن قال قائـل: قد أنكـرتم قول المعتـزلـة والقـدرية والحرورية وغيرهم، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ورسوله محمد، ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمـة الحـديث، فنحن بذلـك معتصمـون، ولما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلـون. ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين. فرحمة الله عليه من إمام مقدم. وكبير مفخم انتهى كلامه(١).

الخـامس: مذهب السلف هو المـذهب المنصـور والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي بكل خير فائزة، من الشفاعة، والورود على الحوض، ورؤية الحق، وغير ذلك من سلامــة الصـــدور. والإيمان بالمقـدور، والتسليم لما جاءت به النصوص، فمن المحال أن يكون المخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه ـ ممن لا يقدر قدر السلف. ولا عرف الحق حق المعرفة ـ أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم

(١) الإبانة (ص٨، ٩) باب في (إبانة قول أهل الحق والسنة).

وأحكم، وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة.

قال الإمام المحقق محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في شرح عقيدته المشهورة المسماة (بالدرة المضية) التي لم يؤلف مثلها في فنها[١]. وهي من أجل كتب الأصول بل هي أحسن مَن جَمَع مقالات السلف بعبارات قريبة ما نصه:

اعلم رحمك الله تعالى أن اصطلاحي في هذا الكتاب. يعني شرحه المسمى (بلوامع الأنوار البهية) هو الاستدلال بالكتاب القديم[٢] وبقول النبي الكريم عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم واقتفاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وما درج عليه الرعيل الأول من القرون المفضلة مما تلقاه أئمة الدين بالقبول، وأثبتوه بالمنقول، وأصلوه في الأصول، وإن زعم متحذلق أنه يباين العقول، فإنه كلام باطل ومذهب معلول، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها فمن زعم أن العقل

---

(١) طيبة في جملتها وعليها بعض الملاحظات. (ف).

(٢) الذي عليه أهل السنة، والجماعة، أن كلام الله سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الآحاد.

يحيل شيئاً مما جاءت به الأنبياء فلا يخلو من أحد أمرين:

إما عدم ثبوته عنهم، وإما عجز العقل عن إدراكه، ولا يلزم من عجز العقول عن إدراك شيء من الأصول أو غيرها أن يكون مستحيلا، كحديث النزول مع عدم الانتقال[١]. وكون القرآن كلام الله وصفته مع عدم الانفصال[١] ونظائر ذلك كثيرة جدا فمن لم يسلم للمنقول وقابله بالرد بالمعقول فهو ضال مخبول، فمذهبنا هو ما وافق صحيح المنقول، وصريح المعقول، الذي يجمع ما في الأقوال المختلفة من الصواب، و يجتنب ما فيها من الخطأ والارتياب، وهذا هو مذهب سلف الأمة وسائر الأئمة، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فإن الله تعالى بين في كتابه الحق بما ضربه فيه من الأمثال، فمن لم يكن علمه متلقى من الكتاب والسنة فهو غير نافع ولا منتفعاً به بل ضره أكثر من نفعه.

وعلامة هذا العلم كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي[٢]: أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والعجب والخيلاء، وطلب مباهاة العلماء، وممارات السفهاء، وصرف وجوه الناس إليه، انتهى كلامه رحمه الله[٣].

---

(١) التعبير بالانتقال وعدمه، والانفصال وعدمه في مثل هذا المقام مما لم يعرف عن السلف الخوض فيه (وربما يراد بعدم الانفصال ما يقوله الأشاعرة أن كلام الله هو المعنى النفسي القائم به وهذا باطل) (ف).

(٢) (فضل علم السلف على الخلف) لابن رجب (ص١٧).

(٣) لوامع الأنوار (١/ ٢٧ ـ ٢٨).

فهذا أوان الشروع في المقصود. فنقول وبالله التوفيق.

قال الناظم رحمه الله مجيباً: لمن سأله عن مذهبه واعتقاده بقوله:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي
رزق الهدى من للهداية يسأل

(يا سائلي) سؤال هداية واسترشاد، لا سؤال تعنت وعناد (عن مذهبي) الذي اذهب إليه في الفروع (و) عن (عقيدتي) التي اعتقدها في الأصول، هو مذهب السلف المأخوذ من الكتاب والسنة، وما ذهب إليه الأعلام الأئمة وغيرهم من أئمة الحديث.

ثم إن الناظم رحمه الله، سأل الهداية لمن سأله بقوله (رزق) بالبناء للمفعول (الهدى من) اسم موصول (للهداية يسأل).

ثم قال مؤكدا للجواب بقوله:

اسمع كلام محقق في قوله
لا ينثني عنه ولا يتبدل

(اسمع) فعل أمر مبني على السكون (كلام) عبد مقر بلسانه معتقد بجنانه (محقق) في دينه لا يعتريه شك ولا رجوع عما اعتقده (في قوله) متعلق بمحقق. والقول له إطلاقات والمراد به هنا بمعنى الاعتقاد، ويراد به الرأي: كقول أبي حنيفة رحمه الله. وقول الناظم (لا ينثني) أي لا يرجع (عنه) أي عن ذلك الاعتقاد (ولا يتبدل) مذهب السلف بغيره.

فصل

ولما كانت مسألة حب الصحابة أهم مسائل الاعتقاد لأنها إجماعية (أي مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة لسابقتهم في الإسلام، والكتاب والسنة مملوءان من الثناء عليهم لما ذكرناه.

فلذلك قال مبتدئا مصرحا بقوله:

حب الصحابة كلهم لي مذهب

ومودة القربى بها أتوسل

حب الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (كلهم)، فلا نفرق بين علي ومعاوية وعائشة وفاطمة، بل كلهم في المحبة سواء. كما هو مذهب الفرقة الناجية من أهل السنة، قال المصنف (لي مذهب) أذهب إليه وأعول في الاعتقاد عليه. (و) كذا (مودة) أي محبة (القربى) أي قرابته، ﷺ، وهم أهل بيته المأمور بها بقوله: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ (بها) أي: بمحبة أهل البيت كلهم (أتوسل) أي: أتقرب إلى الله تعالى بحبهم. وقيل: أتوسل أي: أتشفع ولشيخ الإسلام تقي الدين: في ذلك قاعدة[1] تتضمن فصل

(١) المسماة (قاعدة في التوسل والوسيلة) وهي ضمن (مجموع الفتاوى) (١٤٢/١) وما بعدها وقد طبعت منفردة.

الخطاب في هذه المسألة، وكيف لا تكون مودتهم وسيلة بل هي أعظم الوسائل[١] لأنهم أهل بيت حبهم إيمان وبغضهم نفاق.

ولما كانت فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - مراتب، وهم متفاوتون فيها أكد ذلك بقوله:

ولكلهم قدر علا وفضائل

لكنما الصّديق منهم أفضل

(ولكلهم) أي الصحابة (قدر) عظيم وثواب جسيم لدلائل الكتاب والسنة (علا) أي سما على غيره لسابقته وهجرته (وفضائل).

ولما كانت أفضلية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثابتة بالكتاب والسنة ومتفق عليها عند الأمة ومجمع عليها عند الأئمة، لأنه أفضل خلق الله بعد النبيين والمرسلين فلذا استدركه بقوله. (لكنما الصديق) يعني أبا بكر - رضي الله عنه -، واسمه عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة (منهم) أي من جملة الصحابة (أفضل) من غيره بالإجماع. لقب بأبي بكر الصديق.

وكان علي بن أبي طالب يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبى بكر الصديق من السماء[٢]، وهو أول الناس إسلاما بالنبي، ﷺ، .

---

(١) وهذا من التوسل الجائز لأنه قربة إلى الله وطاعة والتوسل الممنوع هو التوسل بذواتهم أو جاههم أو حقهم (ف).

(٢) أخرجه الحاكم (٦٢/٣) والطبراني في (الكبير) (١٤/٥٥/١) ورده الحاكم لجهالة محمد بن سليمان العبدي ووافقه الذهبي وأقرهما ابن حجر في (لسان =

وقيل علي(١).

وقال أبو حنيفة: الورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، ومن النساء خديجة(٢).

وفضائل الصديق كثيرة شهيرة جدا، وقد دونت في سجلات.

= الميزان) (٥/١٨٩) ووقع في (المستدرك) السعيدي ومن هنا تعلم ما في قول الحافظ في (الفتح) (٧/٩): (رجاله ثقات) وكذا قول الهيثمي في (المجمع) (٩/٤١).

(١) وقد اختلف أهل العلم في هذا: فمن رجح أن أبا بكر أول من أسلم مستنده: ماأخرجه الترمذي (٣٦٦٧) عن أبي سعيد قال قال أبو بكر: «ألست أول من أسلم» وصححه الترمذي في «صحيح الترمذي» (٢٨٩٨) ورجح الترمذي إرساله.

وأخرج البخاري (٣٦٦٠)، (٣٨٥٧) عن عمار بن ياسر: رأيت رسول الله ﷺ ومامعه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر» قال الحافظ في «الفتح» (٧/١٧٠) «وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر إذ لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي ﷺ من الرجال غيره» وقد اتفق الجمهور على أن أبابكر أول من أسلم من الرجال».

أما مستند من قال: إن عليًا أول من أسلم ماأخرجه الترمذي (٣٧٣٥) بإسناد حسن عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم علي» قال الترمذي: (حسن صحيح). قال ابن حجر في (الإصابة) (٢/٥٧) «أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم» ورجحه في (التقريب) بقوله الراجح أنه أول من أسلم».

(٢) قال النووي في (تهذيب الأسماء) (١/٣٤٤ - ٣٤٥) «قال العلماء: والأورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة بنت خويلد ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال».

ويكفي في فضله ما ورد في الكتاب والسنة. كقوله تعالى: ﴿**وسيجنبها الأتقى**﴾ إلى آخر السورة(١). وقال تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾(٢) الآية. وقوله تعالى: ﴿**إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن**﴾(٣) الآية. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

وقد أخرج الإمام أحمد وغيره عن علي بن أبي طالب قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر(٤).

قال الإمام الحافظ الذهبي: وهذا متواتر عن علي ـ رضي الله عنه ـ فلعنة الله على الرافضة ما أجهلهم(٥). انتهى.

وقال المصنف في الفتاوى المصرية: قد نقل عن علي ـ رضي الله عنه ـ من نحو ثمانين وجها خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر(٦).

(١) سورة الليل: ١٧ ـ ٢١.

(٢) سورة الزمر: ٣٣.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) نذكر منها: ما أخرجه أحمد وابنه عبد الله (١/١٠٦، ١١٠) من طرق عن أبي جحيفة عن علي.
وبعض أسانيده صححها الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/٥٧٠).
وأيضا ما أخرجه البخاري (٣٦٧١) وأبوداود (٤٦٢٩) وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢٠٦) عن ابن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه يراجع السنة لابن أبي عاصم الأحاديث (١٢٠٠ ـ ١٢٠٨).

(٥) انظر (لوامع الأنوار) (٢/٣١٢).

(٦) ومثله قاله في (منهاج السنة) (٣/١٦٢).

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: في قوله تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾[(١)] هو أبو بكر.

وفي رواية البزار: جاء بالصدق أي الحق هو محمد، ﷺ، . وصدق به هو أبو بكر»[(٢)]، أسلم على يده جمع من الصحابة، منهم عثمان بن عفان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم -.

وهو أول من جمع القرآن[(٣)]. وقاء تحرجا من الشبهات[(٤)].

وأول من سمى القرآن مصحفا. وأول من سمي خليفة.

---

(١) الزمر: ٣٣.

(٢) وقال الهيثمي في (المجمع) (٤٨/٩) «رواه البزار وفيه عمر بن إبراهيم الهاشمي وهو كذاب».

(٣) وقصة جمع القرآن أخرجها البخاري (٤٩٨٦) من حديث زيد بن ثابت قال الحافظ في (الفتح) (١٣/٩) وكأن القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة فجمعها أبوبكر في مكان واحد ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها فنسخ عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار.

(٤) يعني تقيأ ما أكل لما علم أنه من كسب حرام. (ف). فقد أخرج البخاري (٣٨٤٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه».

وأول من ولي الخلافة وأبوه حي، ومناقبه ـ رضي الله عنه ـ كثيرة جدا.

وهو أفضل الصحابة وخيرهم بإجماع أهل السنة. فقد أجمعوا على أن أفضل الناس بعد النبيين والمرسلين أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي(١)، ثم التابعون، ثم تابعوهم.

وسمي صديقا لأنه أول من صدق بناءً على أنه أول من آمن.

ولهذا قال أبو محجن الثقفي فيه شعرا:

سبقت إلى الإسلام والله شاهد

وكنت جليسا بالعريش المشهر

وأول ما اشتهر سيدنا أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الإسراء.

فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ـ قالت: جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال أو قال ذلك. قالوا: نعم. فقال: لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة، ولذلك سمي أبو بكر صديقـًا» إسناده جيد(٢).

---

(١) الذي في شرح السفارينية بعد قوله: ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة. (لوامع الأنوار) (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢، ٧٦) وصححه في الموضعين ووافقه الذهبي قلت فيه =

وفي الطبراني بسنده عن الشعبي قال: سألت ابن عباس ـ رضي الله عنهما أي الناس كان أول إسلاما، قال: أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعلمها
بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا(١)

وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ، «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي، إني قلت أيها الناس**

= محمد بن كثير الصنعاني قال الحافظ في (التقريب) «صدوق كثير الغلط» فمثله لا يجود إسناد حديثه؟؟

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائد الزهد) (ص١١٢) والطبراني في (الكبير) (١٢/٨٩/١٢٥٦٢) من طريق الهيثم بن عدي وأخرجه الحاكم (٣/٦٤) من طريق الخليل بن زكريا. كلاهما عن مجالد بن سعيد عن الشعبي به.
الهيثم بن عدي. قال الذهبي في (المغني) (٦٨٠٧) «تركوه» وقال أبو داود السجستاني: «كذاب».
والخليل بن زكريا. قال في (التقريب): «متروك».
ومجالد بن سعيد ضعيف، قال في (التقريب): «ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره».

إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم: كذبت، فقال أبو بكر: صدقت»(١).

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الإسلام وأئمتهم(٢) صحب أبو بكر النبي، ﷺ، من حين أسلم إلى أن توفي لم يفارقه حضرًا ولا سفرًا إلا فيما أذن له فيه من حج أو غزو. وهو رفيقه في الغار قال الله تعالى: ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار**﴾(٣) الآية. وأنفق ماله على رسول الله، ﷺ(٤)، وهو أجود الصحابة ـ رضي الله عنه(٥) ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١).

(٢) انظر (لوامع الأنوار) (٢/٣١٤).

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: ما أنا ومالي إلا لك»** أخرجه أحمد (٢/٢٥٣) وابن ماجه (٩٤) والنسائي في (الفضائل) وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢٢٩) وابن حبان (١٦٦ موارد) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٥٦٨٤).

(٥) لعله يشير إلى ما أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) عن عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالا، فقلت: اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال: ياأبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله: قلت والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا».

قال الترمذي «حسن صحيح» وقال الألباني في (المشكاة) (٦٠٢١) «إسناده حسن» وحسنه أيضا في (صحيح الترمذي) (٢٩٠٢).

قال ابن الجوزي الحنبلي: أجمع العلماء من المفسرين[١] وغيرهم أن هذه الآية يعني قوله: ﴿**وسيجنبها الأتقى**﴾[٢] الآيات. أنها نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. وأسلم وله أربعون ألف دينار فأنفقها على رسول الله، ﷺ[٣].

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ. قال: قلت: يا رسول الله أي النساء أحب إليك، قال: «**عائشة**». قلت: من الرجال. قال: «**أبوها**». قلت: ثم من قال: «**عمر بن الخطاب**»[٤].

وأخرج ابن سعد بسنده عن الزهري قال: قال رسول الله، ﷺ، لحسان بن ثابت: «**هل قلت في أبي بكر شيئًا؟**». قال: نعم، قال: «**قل وأنا اسمع**»، فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا

---

(١) قال ابن الجوزي في (زاد المسير) (٩/١٥٢) «في قول جميع المفسرين» انظر (لوامع الأنوار) (٢/٣١٥).

(٢) الليل: ١٧ : ٢١.

(٣) أخرج ابن حبان (٢١٦٧ موارد) عن عائشة قالت: «أنفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ أربعين ألفًا». وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤).

فضحـك رسـول الله، ﷺ، حتى بدت نواجـذه. ثم قال: «**صدقت يا حسان هو كما قلت**»(١).

قال العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي رحمه الله في شرح عقيدته.

قد أجمع المسلمون أن المراد بالصاحب المذكور في الآية(٢) أنه أبو بكر الصديق. فنص القرآن على ثبوت صحبته. وهذه فضيلة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة.

ولهـذا قال العلماء: من قال: إن أبا بكر لم يكن من الصحابة، كفر. لتكذيبه نص القرآن.

وذكروا مثله فيمن قذف عائشة أم المؤمنين لأن القرآن نزل ببراءتها رضي الله عنها، انتهى(٣).

---

(١) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) (٣/١٢٩)، واللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٢٤٢٨) وهو مرسل ضعيف جدًّا فيه متهم بالكذب وهو الجراح بن منهال وكنيته أبـو العـطوف. وأخـرجه الحاكم (٣/٦٤) عن حبيب بن أبي حبيب وضعفه الذهبي بقوله: (قلت: عمرو بن زياد يضع الحديث».

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ التوبة: ٤٠، وأخرج البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) عن أبي بكر قال: «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهما نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/١١٠) «ومعنى ثالثهما ناصرهما ومعينهما، وإلا فالله ثالث كل اثنين بعلمه».

(٣) لوامع الأنوار (٢/٣١٥).

وورد عن الحسن أنه قيل له حب أبي بكر وعمر سنة. قال: لا بل فريضة[١].

وعن مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال كان السلف يعلمون أبناءهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن[٢]، وأما الرافضة فلجهلهم سلكوا خلاف هذا الطريق وتفرقوا على أهواء وبدع، نعوذ بالله من الزيغ والضلال.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي»**[٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: **«لو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن أخوة الإسلام»**[٤].

وقد ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة رضي الله عنهم. فهو من الأحاديث المتواترة[٥]. وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة من الهجرة. وغسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه

(١) أخرجه اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٢٣٢١).
(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٢٥).
(٣) أخرجه أبوداود (٤٦٥٢) وإسناده ضعيف كما قال الألباني في (المشكاة) (٦٠٢٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٦)، (٣٦٥٤) ومسلم (٢٣٨٢).
(٥) انظر (نظم المتناثر) (ص١٢٣ ـ ١٢٤) للكتاني وقد نص على تواتره المناوي في (التيسير) والشيخ مرتضي في (شرح الإحياء).

ـ رضي الله عنه ـ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر وعشر ليال.

* * * *

وبعد أبي بكر في الأفضلية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لقبه النبي، ﷺ، بأبي حفص، وبالفاروق.

أخرج ابن ماجة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر(١).

وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر(٢).

وأخرج ابن سعد عنه، قال كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا ما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركوا سبيلنا(٣). وكان إسلامه ـ رضي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٣) وابن حبان (٢١٨٢ موارد) وابن عدي في (الكامل) (٤/١٥٢٥) وهو ضعيف جدًّا كما قال الألباني في (ضعيف) ابن ماجه (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٤)، (٣٨٦٣) واستدركه الحاكم (٣/٨٤) فوهم ومعنى قول ابن مسعود هذا: «أي لما كان فيه من الجلد والقوة في أمر الله» كما في (الفتح) (٧/٤٨).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٤) بسند صحيح عن «القاسم بن عبد الرحمن قال عبدالله بن مسعود فذكره...» بألفاظ مغايرة. ورواية القاسم عن جده ابن مسعود مرسلة كما في (التهذيب) (٨/٣٢١) فعنده (إمارته) بدلاً من (إمامته) و =

الله عنه ـ في السنة السادسة من البعثة، وفرح المسلمون بإسلامه، وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه.

وقد وردت الأحاديث بفضائله. ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله، ﷺ، : «**يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك**»(١).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ، : «**لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد كان عمر**»(٢).

محدثون بفتح الدال المهملة والتشديد أي ملهمون.

وفي الترمذي من حديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ، : «**لو كان بعدي نبي لكان عمر**»(٣).

= (أن نصلي بالبيت) بدلاً من (أن نصل إلى البيت) و (حتى تركونا فصلينا) بدلاً من (حتى تركوا سبيلنا).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) (٣٦٨٩) عن أبي هريرة وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) والترمذي (٣٦٩٣) والنسائي (فضائل الصحابة) (١٨) عن عائشة وقال الترمذي: (حسن صحيح).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦) وأحمد (٤/١٥٤) والحاكم (٣/٨٥) وقال الترمذي: (حسن غريب) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو حسن كما قال الألباني في (الصحيحة) (٣٢٧).

وقال حذيفة: أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم، يعني عمر.

وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق بلا نزاع، وكانت أفضلية أبي بكر وعمر بالنص والإجماع، ولا عبرة بمخالفة الرافضة(١).

وقد وافق عمر ربه في آيات كثيرة(٢).

منها اتخاذ مقام إبراهيم مصلى حين قال عمر: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فنزلت(٣) قوله تعالى: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ الآية(٤).

(١) فقد غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغلوا في أهل البيت ونصبوا العداء لجماهير صحابة رسول الله ﷺ وكفروهم ومن والاهم كما هو حال الرافضة في إيران اليوم؟؟

(٢) قال النووي في (شرح مسلم) (١٥/٦٦) «هذا من أجل مناقب عمر وفضائله رضي الله عنه».

(٣) أخرج البخاري (٤٢)، (٤٤٨٣) وغيره عن أنس قال قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ وآية الحجاب، قلت: يارسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية» وأخرج مسلم (٢٣٩٩) عن ابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر.

(٤) البقرة: ١٢٥.

ومنها آية الحجاب(١)، وغير ذلك مما يزيد على نيف وعشرين، نظمها بعضهم(٢).

ولي الخلافة في السنة التي توفي فيها أبو بكر الصديق بعهد من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ، فقام بالأمر بعده أتم قيام. وفتح ـ رضي الله عنه ـ جميع بلاد الإسلام(٣) وفي سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فتحت كرمان وسجستان وأصفهان ونواحيها. وفي آخرها توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ شهيداً راجعاً من مكة من الحج، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة، وفاز عمر ـ رضي الله عنه ـ بالشهادة. وكان من دعائه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي ونشري ببلد رسولك فاستجاب الله دعاءه. طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز وهو في الصلاة، وصلى عليه صهيب ـ رضي الله عنهما ـ، ودفن في بيت عائشة في حجرته، ﷺ، مع صاحبيه.

وقال علي الدباغ الحلبي رحمه الله يمدح الحجرة النبوية ما نصه:

كفى صاحبي خير الأنام مزية
وبرهان صدق حين فضلهما يتلى
حلولهما في بقعة تفضل السماء(٤)
وبعثهما منها هو الشرف الأعلى

---

(١) قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الأحزاب: ٥٣.

(٢) يعني الحافظ السيوطي وسماها «قطف الثمر في موافقات عمر» ضمن كتابه (الحاوي للفتاوى) (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

(٣) لعله الشام.

(٤) هذا غلو لا دليل عليه. (ف).

ومناقب عمر ـ رضي الله عنه ـ كثيرة جدا، قد أفردت في مجلدات منها كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة لابن جرير الشافعي، وكتاب صفة الصفوة في مناقب الصحابة وغير ذلك.

* * * *

ويليه في الأفضلية والخلافة أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) ـ رضي الله عنه ـ.

ولي الخلافة سنة توفي عمر بن الخطاب، هاجر الهجرتين[١]، وزوجه رسول الله، ﷺ، ابنتيه رقية، وأم كلثوم، فلذا سمي بذي النورين[٢]، وهو من السابقين الأولين المهاجرين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله، ﷺ، وهو عنهم راض[٣]، وأحد الذين جمعوا القرآن في المصحف على هذا الترتيب اليوم.

---

(١) الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة فأخرج البخاري (٣٦٩٦) من حديث عبيدالله بن عدي بن الخيار وفيه قوله لعثمان: (وكنت ممن استجاب لله ورسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين».

(٢) قال الحافظ في (الفتح) (٧/ ٥٤) «وروى خيثمة في (الفضائل) والدارقطني في (الإفراد) من حديث علي أنه ذكر عثمان فقال: «ذاك امرؤ يدعى في السماء ذا النورين» وذكر نحو ذلك في (الإصابة) (٢/ ٤٦٢).

(٣) قال عمر رضي الله عنه: «ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، أخرجه البخاري (٣٧٠٠) وغيره في قصة بيعة عثمان.

قلت: وكفى بها منقبة أنه لا تصح صلاة بقراءة تخرج عن مصحفه - رضي الله عنه - اهـ.

وروي عن محمد بن سيرين أنه قال أعلم الصحابة بالمناسك عثمان بن عفان[١]:

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: ذكر النبي، ﷺ، فتنة فقال: «**يقتل فيها هذا مظلوماً**» لعثمان - رضي الله عنه[٢] -، ومناقبه كثيرة.

منها كثرة صيامه وقيامه. فقد ورد أنه كان يصوم الدهر، ويقوم الليل كله إلا هجعة من أوله، عن ابن عمر أنه قال في تفسير قوله: ﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**﴾[٣]. قال: هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه[٤] -.

---

(١) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) (٣/٤٤) وإسناده صحيح ولفظه: «كان أعلمهم بالمناسك ابن عفان وبعده ابن عمر».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠٨) وقال: (حسن غريب) وفيه سنان بن هارون «صدوق فيه لين» وحسن إسناده الألباني في (صحيح الترمذي) (٢٩٢٥) ويشهد له حديث مرة بن كعب رواه الترمذي (٣٧٠٤) وأحمد (٤/٢٣٥، ٢٣٦) وقال الترمذي: (حسن صحيح) قال الألباني في (المشكاة) (٦٠٦٧) وإسناده صحيح وفيه: (وذكر الفتن فقر بها) فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. قال: فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال: نعم.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره) كما في (تفسير ابن كثير) ٤/٤٧) وإسناده ضعيف. فيه عبد الله بن الحزاز قال الذهبي في (الكاشف) (٢/١١٧) (ضعفوه) ويحيى بن مسلم البكاء ضعف كما في (التقريب).

ومنها أنه جهز جيش العسرة بماله[١]، وذلك في غزوة تبوك في زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد، وقلة من الظهر حتى كان العشرة يتعاقبون على البعير الواحد الزاد والماء مع شدة الحر.

وأنفق عثمان ـ رضي الله عنه ـ مالاً عظيماً، حتى قال رسول الله، ﷺ: **«ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، أو بعد هذا مرتين**[٢]**، وقال اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض»**.

فقد ورد أن المسجد لما ضاق بأهله قال النبي، ﷺ: **«من يشتري بقعة آل فلان بخير له منها في الجنة»** فاشتراها من ماله بعشرين ألفاً، وزاد في المسجد[٣].

ومنها أن النبي، ﷺ، بايع عنه بشماله مبايعة الرضوان تحت

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) تعليقًا والترمذي (٦٣٩٩) والنسائي (٦/٢٣٦ - ٢٣٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال: أذكركم بالله. هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة من ينفق نفقة متقبلة والناس مجهدون معسرون فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...» الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١) وأحمد (٥/٦٣) من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة...» الحديث. وإسناده حسن كما قال الألباني في (المشكاة) (٦٠٦٤) وحسنه الترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠٣) والنسائي (٦/٢٣٥) والبيهقي (٦/١٦٨) وعبد الله ابن أحمد في (زوائد المسند) (١/٧٤) - ٧٥). وحسنه الترمذي والألباني في (الإرواء) (١٥٩٤).

الشجرة[١]، وله ـ رضي الله عنه ـ خصائص لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ممن دونه.

ومنها أنه ابتلي فصبر: ووفى العهد الذي بينه وبين النبي، ﷺ، ثم قتل مظلوماً وهو صائم، وقال يوم قتله إني رأيت النبي، ﷺ، البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقال: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة[٢] ودعا

---

(١) أخرج البخاري (٣٦٩٨) من حديث ابن عمر وفيه قال ابن عمر: «. . . فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى فقال هذه لعثمان». قال الحافظ في (الفتح) (٧/ ٥٩) قوله: (فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى) أي: إشارة بها قوله: (هذه يد عثمان) أي: بدلها، فضرب بها على يده اليسرى فقال: «هذه ـ أي البيعة ـ لعثمان» أي: عن عثمان، فالظاهر أن النبي ﷺ بايع عن عثمان بيمينه وليس بشماله كما ذكر الشارح. والله أعلم.

(٢) ورد هذا الأثر عن جماعة منهم:

أ ـ ابن عمر: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٣) واللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٢٥٧٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وإسناده لابأس به في الشواهد فيه أبو جعفر الرازي قال الحافظ: (صدوق سيىء الحفظ).

ب ـ نائلة زوجة عثمان رضي الله عنه.

أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) (١/ ٧٣) قال الشيخ شاكر في المسند (٥٣٦) (في إسناده نظر) وقال الهيثمي في (المجمع) (٧/ ٢٣٢) (وفيه من لم أعرفه).

جـ ـ مسلم بن سعيد أبو مسلم مولى عثمان.

أخرجه عبد الله في (زوائد المسند) (٧٢) وإسناده حسن في الشواهد مسلم هذا مجهول الحال ويونس بن أبي يعفور قال الحافظ في (التقريب) (صدوق يخطىء كثيرًا) وصحح إسناده الشيخ شاكر في (المسند) (٥٢٦).

بمصحف ففتحه وقتل وهو بين يديه ـ رضي الله عنه ـ، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين من الهجرة بعد أن حصر في بيته عشرين يوما. أيام التشريق وصلى عليه الزبير، ودفن في البقيع في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام(١)، ورثاه حسان رضي الله عنه. بقوله:

من سره الموت صرفا لا مزاج له
فليأت مأدبة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
ليسمعن وشيكا في ديارهم
الله أكبر يا ثاراة عثمانا(٢)

* * * *

وبعده في الأفضلية والتقديم والخلافة أمير المؤمنين رابع الخلفاء علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، مناقبه كثيرة جدا فهو أحد العشرة المبشرين في الجنة. وصهره عليه السلام، وأحد الخلفاء الراشدين

= د ـ كثير بن الصلت:
أخرجه اللالكائي (٥٧٨) وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف كما في (التقريب) والأثر بمجموع طرقه حسن. والله أعلم.

(١) انظر البداية والنهاية (٧/١٨٦ ـ ٢٣٨) والإصابة (٢/٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٢) تاريخ الطبري (٢/٦٩٥) وابن كثير (٧/٢١٥) ولوامع الأنوار (٢/٣٣٤)

والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين وأبو السبطين الشهيدين[١] أسلم قديما.

وله مناقب قد دونت في مجلدات أهل السنة.

قال إمامنا الإمام أحمد بن حنبل. ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب[٢] ـ رضي الله عنه ـ وعن بقية الصحابة أجمعين، مات شهيدا كصاحبيه قتله ابن ملجم الخارجي لعنه الله:

وسبب ذلك، أن ابن ملجم خطب قطام بنت علقمة من تيم الرباب الخارجية. وكانت قطام جميلة فخطبها وقالت: مهري ثقيل عليك فقال: ما هو فقالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما أتيت إلا للفتك به، ثم إنه اشترى سيفا بألف

---

(١) وهما الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٧/٧١): «قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي. وكأن السبب في ذلك أنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينهما من الصحابة ردًّا على من خالفه» وقال أيضا في (الإصابة) (٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨) ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي وقال غيره وكان سبب ذلك بغض بني أمية له فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لايزداد إلا انتشارًا.

درهم وسقاه السم فخرج وجلس مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فخرج علي لصلاة الصبح فضربه ابن ملجم الخارجي على رأسه وقال: الحكم لله لا لعلي وأصحابه. وقال علي فزت ورب الكعبة لا يفر منكم الكلب، وشد الناس عليه من كل جانب حتى أوثقوه في الحبال فأدخل ابن ملجم لعنه الله على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن أعش فالأمر لي، وإن أمت فلكم العفو أو القصاص، واجتمع الأطباء عنده وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو. وكان من أطباء كسرى فأخذ رية شاة حارة فأخذ عرقا منها فأدخله في جراحة علي ـ رضي الله عنه ـ ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض دماغ وإذا بالضربة قد وصلت إلى أم رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فأنت ميت. وسمع ابن ملجم الرنة من الدار، فقال له من حضره يعني ابن ملجم لا بأس على أمير المؤمنين فقال له ابن ملجم لعنه الله على من تبكي أم كلثوم أعلي تبكي أما والله لقد ضربته ضربة لو قسمت على أهل الكوفة لأتت عليهم. ثم مات أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ ليلة الأحد سبع عشرة مضت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن بدار الإمارة بالكوفة على الصحيح، ثم أحضر ابن ملجم وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير من حديد محماة، ثم أحرق في قوصرة.

وكان عمر أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ ثلاثاً وستين سنة كأبي

بكر وعمر، كعمر رسول الله، ﷺ، وقتلت قطام يومه ذلك، والله أعلم(١).

قال العلامة محمد بن الحاج أحمد السفاريني الحنبلي في شرح عقيدته المشهورة ما نصه:

قلت ولا يخفى أن ابن ملجم الخارجي لعنه الله استحل قتل أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ. بل عد قتله من أعظم القرب، وهذا كفر بلا ريب، حتى إن عمران بن حطان الخارجي قبحه الله(٢) قال: يمدح ابن ملجم لعنه الله تعالى:

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل الحق بقوله:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة
هدمت ويلك للإسلام أركانا

---

(١) انظر (البداية والنهاية) (٧/٣٥٦ ـ ٣٦١) و (لوامع الأنوار) (٢/٣٣٤ ـ ٣٥٠).

(٢) وعمران بن حطان. وثقه العجلي وقال قتادة: كان لا يتهم في الحديث وأخرج له البخاري في صحيحه في المتابعات وذكر الحافظ في (مقدمة الفتح) (ص٤٣٣) أن أبا زكريا الموصلي حكى في تاريخ الموصل عن غيره أن عمران هذا رجع في آخر عمره عن رأي الخوارج» وقد لخص الحافظ ابن حجر أمره فقال في (التقريب): «صدوق إلا أنه كان على رأي الخوارج ويقال رجع عن ذلك».

قتلت أفضل من يمشي على قدم[١]
وأول الناس إسلاما وإيمانا[٢]
وأعلم الناس بالإيمان ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا[٣]
صهر النبي ومولاه وناصره
أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على زعم الحسود له
مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا ماضياً ذكراً
ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب العرش سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت قبائلها
وأبخس الناس عند الله ميزانا

---

(١) يعني أنه يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة (التقريب) (٢ / ٣٩) وإلا فهذا غلو.

(٢) انظر التعليق رقم (٢)، ص١٤ . ورقم (١) ص ١٥ .

(٣) إذا أراد في وقته وإلا فأعلم الأمة بالإجماع أبو بكر الصديق (راجع منهاج السنة) لابن تيمية (٣ / ١٢٤) و(منهاج الاعتدال) (ص٣٤١) للذهبي .

كعاقـر الناقـة الأولـى التـي جلبــت
علـى ثمـود بـأرض الحجـر خسرانـا
قـد كـان يخبرهـم أن سوف يخضبهـا
قبــل المنيـــة أزمانـــاً فأزمانـــا
فــلا عفـــى الله عنـــه مــا تحملــه
ولا سقـى قبـر عمــران بــن حطانا
لقولــه فـــي شقــي ظــل مجترمــا
ونــال مــا نالــه ظلمــاً وعـدوانــا
يا ضربــة مـــن تقــي مــا أراد بهــا
إلا ليبلـــــغ عنـــــد الله رضوانـــا
بـل ضربـة مـن غـوي أوردتـه لظـى
فسـوف يلقـى بهـا الرحمـن غضبانـا
كأنــه لـــم يــرد قصـــدا بضربتــه
إلا ليصلــى عـذاب الخلـد نيرانـا
إنـــي لأذكـــره يومـــا فألعنـــه
أيضـا وألعـن عمـران بــن حطانـا

وما أحسن قول عمارة اليمني في الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ بقوله:

أردت علـــيًّا وعثمانـــاً بمخلبهـــا
ولـــم يفتهـــا أبو بكــر ولا عمـــر

ومـــن أراد التأســي فــي مصيبتــه
فللــورى فـي رسـول الله معتبــر(١)

وبالجملة فبعد الخلفاء الراشدين في الفضيلة من الصحابة الستة الباقون من العشرة الذين توفي رسول الله، ﷺ، وهو عنهم راض.

أحدهم: أبو محمد طلحة بن عبيد الله. وسماه النبي طلحة الخير والفياض والجواد ومناقبه كثيرة(٢).

ومنهم: سعيد بن زيد شهد المشاهد كلها مع النبي، ﷺ، غير بدر.

ومنهم عبد الرحمن بن عوف، صاحب الهجرتين وفضله وسابقته مشهورة رضي الله عنه.

ومنهم: أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح(٣).

ومنهم: أبو عبد الله الزبير بن العوام فله مناقب قد دونت في مجلدات.

ومنهم: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

ونـظم أسماء هؤلاء العشرة الكرام بعض حفاظ الإسلام وهو: ابن حجر بقوله:

---

(١) (لوامع الأنوار) (٣٥٠-٣٥١).

(٢) راجع الإصابة (٢ / ٢٣٠).

(٣) أخرج البخاري (٣٧٤٤) ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أمينًا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

لقد بشر الهادي مـن الصحب عشـرة
بجنـــات عــدن كلهــم فضلــه علــي
عتيـق سعيـد سعـد عثمـان طلحــة
زبيــر ابــن عــوف عامر عمـر علـي

ومن أراد ذلك فعليه بكتاب ألفه العلامة ابن جرير الطبري سماه الرياض النضرة في مناقب العشرة، ومناقبهم كثيرة جدًّا.

فمنها: ما روى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان بن عفان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»، رواه الترمذي(١).

وأخرج أبو داود والترمذي عن رباح بن الحارث قال: كنت قاعداً عند فلان في الكوفة، وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد فرحب به وحياه وأقعده معه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة، يقال له قيس بن علقمة فاستقبله وسب وسب فقال: سعيد، ومن يسب هذا الرجل، فقالوا: يسب عليًّا؟ فقال: لا أرى أصحاب رسول الله يسبون عندك؟ ثم لا تنكر ولا تغير. سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: **أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٨) وسنده حسن وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (٢٩٤٦).

والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبـو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسكت عن العاشر. قالوا: ومن العاشر؟ قال: **سعيد بن زيد**؛ يعني نفسه. ثم قال: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله، ﷺ، يتغير فيه وجهه، خير من عمل أحدكم ولو عُمِّرَ عمر نوح[١].

زاد رزين، ثم لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله تعالى أن لا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة، والشقي من أبغضهم، والسعيد من أحبهم[٢]. أماتنا الله تعالى على حبهم آمين.

والأحاديث في ذلك كثيرة معلومة.

فمنها ما روي في الحديث الصحيح عنه، ﷺ، أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه**»[٣].

وقوله عليه السلام: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي، من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، (٤٦٥٠) والترمذي (٣٧٤٨) وابن ماجه (١٣٤) وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (٢٩٤٧) و(المشكاة) (٦١١٠).

(٢) ذكره المؤلف باختصار والحديث مطول.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

أن يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يفلته»[١].

وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي، ﷺ، أنه قال: **«احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ»**[٢].

ويكفي في فضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قوله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾**[٣] إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾** الآية[٤].

وقوله تعالى: **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٨٧) و(٥/٥٤، ٧٥) والترمذي (٣٨٦١) وابن حبان (٢٢٨٤ موارد) وابن أبي عاصم في (السنة (٩٩٢) وإسناده ضعيف. لجهالة عبد الرحمن ابن زياد قال الذهبي: «لا يعرف».

(٢) أخرجه الشيرازي في (الألقاب) عن أبي سعيد وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) (٢١١).
وأما حديث عمر رضي الله عنه فأخرجه ابن ماجه (٢٣٦٣) وغيره وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) (١١١٦) بلفظ: «احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يشهد الرجل، وما يستشهد ويحلف وما يستحلف).

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) التوبة: ١٠٠.

اتبعوه في ساعة العسرة﴾[١] إلى آخره وغير ذلك من الآيات والأحاديث مما لا يحصى.

ويجب السكوت عما شجر بينهم من الموافقة والمخالفة والحروب: وليس هو من العقائد الدينية ولا ينفع في الدين، بل يضر في اليقين[٢]، وما نقل فيما شجر بينهم في الحروب والفتن، فله محامل وتأويلات حسنة، لأن قتالهم للدين بخلاف غيرهم. فورد في حقهم أن القاتل والمقتول في الجنة لأنهم عن اجتهاد. وورد في قتال غيرهم، القاتل والمقتول في النار.

وما نقل عنهم - رضي الله عنهم - في الحروب[٣]؛ فباطل وكذب فلا يلتفت إليه[٤].

قال ابن دقيق العيد الشافعي رحمه الله.

وما ورد عنهم فيما شجر بينهم في الحروب والفتن وهو صحيح. أولناه على أحسن التأويلات، وطلبنا له أجود المخارج. لأن الثناء

---

(١) التوبة: ١١٧.

(٢) يعني الكلام فيما شجر بينهم. (ف).

(٣) يعني مما فيه تنقص لهم. (ف).

(٤) فهو رواية الكذابون المعروفون بالكذب: مثل لوط بن يحيى والكلبي وهذا هو أكثر المنقول. أما ما نقل عنهم في الحروب وهو صدق فأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوبًا وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر - يراجع (منهاج الاعتدال) (ص٣١٩ - ٣٢٠).

عليهم من الله سابق، وما نقل محتمل للتأويل، والمشكوك لا يبطل المعلوم. انتهى.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة، جاء إلى رسول الله، ﷺ، يشكو حاطباً. فقال: يارسول الله ليدخلن حاطب النار؟ فقال رسول الله، ﷺ، : **«كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»**[1].

وورد أيضا في الحديث الصحيح، في قصة حاطب المذكور، لما أخبر قريشاً بأمر رسول الله، ﷺ، ثم اعتذر، فقبل رسول الله، ﷺ، عذره. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله، ﷺ، : **«إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[2].

قال بعض الأئمة: كفى بهذا الحديث معظماً لشأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؛ وكافًّا كل لسان عن القول، ومانعاً كل قلب عن التهمة، وباعثاً على ذكر محاسنهم، فإن الحامل لهم على تلك الوقائع هو الدين. وما جرى بينهم على سبيل الاجتهاد والمجتهد مثاب، وإن

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٥) من حديث جابر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، (٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) وأبو داود (٢٦٥٠) والترمذي (٣٣٠٢) وأحمد (٨٠١١) من حديث علي رضي الله عنه.

كان مخطئاً، كما ورد في الحديث: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران . . الخ**»(١).

وسئل الإمام أحمد عن أمر علي وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ فقال: ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾(٢).

. . . ولهذا قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: لولا علي لم تعرف سيرة الخوارج البغاة، ونقل عن أبي حنيفة مثله.

ويكفي في فضل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ما ورد في الحديث الصحيح: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتم، اقتديتم**(٣)»، شبههم عليه السلام بالنجوم، فالنجوم زينة للسماء، ورجوم للشياطين، وهدى لأهل الأرض، والصحابة كذلك. وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص. بلفظ: «إذا حكم الحاكم. فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».

(٢) البقرة: ١٣٤.

(٣) بل هو حديث باطل فقد روي عن جابر وابن عباس وعمرو بن عمر بأسانيد واهية جدًّا وبعضها مقطوع ببطلانه قال ابن حزم: «خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط» وقال البزار: «وهذا الكلام لا يصح عن النبي ﷺ» راجع السلسلة الضعيفة: رقم (٥٨-٦١) و«البدائل الحسنة» لمحمد عمرو رقم (١٤) ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم هم سادة العلماء وأفضلهم وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وجه التشبيه الوارد في الحديث[١]، والله أعلم.

قال العلامة السفاريني: ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب، أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور، من الفضل والمعروف، والصدق والأمانة، وغير ذلك والسعيد من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم. والتعيس من عدل عن طريقهم، انتهى[٢].

(١) البديل الصحيح لهذا المعنى حديث أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما يوعدون» أخرجه مسلم (٢٥٣١) وأحمد (٤/٣٩٩).

(٢) (لوامع الأنوار) (٢/٣٨١) بتصرف.

فصل

في مبحث مسألة القرآن العظيم
والكلام عليها

فنقول: اعلم وفقك الله تعالى، أن الناس قد اختلفوا في هذا القرآن المنزل على النبي المرسل، فمذهب السلف وأئمة أهل الأثر هو ما أشار إليه الناظم بقوله:

وأقول في القرآن ما جاءت به
آياته فهو القديم[1] المنزل

(وأقول) أي اعتقد (في) مسألة (القرآن) العظيم.

والقول له إطلاقات، فتارة يطلق ويراد به الرأي والاعتقاد كما هنا.

والمراد به عند أهل العربية واللغة، اللفظ الدال على معنى كرجل وفرس، والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف سواء دل على معنى كزيد، أو لم يدل كديز مقلوب زيد قاله ابن هشام؛ (ما) الذي (جاءت به آياته) البينات وسوره المنزلات (فهو) أي القرآن

(١) في بعض النسخ الكريم: وهذا هو الأليق بمذهب شيخ الإسلام ابن تيمية.

والوحي الذي جاء من الله هو كلام الله (القديم المنزل) أي الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد، ﷺ، بواسطة أمينه جبريل عليه السلام.

قال الشيخ محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه: «الفصول في الأصول» سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائيني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر. والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى. والنبي، ﷺ، سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي، ﷺ، . قال وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومقروءاً، وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين، انتهى كلامه بحروفه[١].

وقد أخبر الله بتنزيله: وشهد بإنزاله على رسوله. فقال: ﴿**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**﴾[٢] وقال جل شأنه: ﴿**لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا**﴾[٣]

(١) نقلاً عن (لوامع الأنوار) (١٦٢/١).
(٢) الإنسان: ٢٣.
(٣) النساء: ١٦٦.

والمنزل على الرسول هو هذا الكتاب.

وقد أمر الله سبحانه بترتيله. فقال: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾[١] فأمر الله سبحانه بقراءته. والاستماع له والانصات إليه.

وأخبر سبحانه أنه يسمع ويتلى، قال تعالى: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾[٢] وقال تعالى: ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن**﴾[٣] ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**﴾[٤].

وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا. لا من صفات ما في النفس[٥] الذي لا يظهر لحس ولا يدرى ما هو:

وأخبر سبحانه أن منه سورا وآيات وكلمات.

وقال المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قاعدته: التي في بيان أن القرآن كلام الله تعالى ليس منه شيء كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما. قال الله تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ إلى قوله: ﴿**نزله روح القدس من ربك بالحق**﴾[٦].

---

(١) المزمل: ٤.

(٢) التوبة: ٦.

(٣) المزمل: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢٠٤.

(٥) هذا رد الأشاعرة القائلين: إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس والقرآن الموجود عبارة عن كلام الله أو حكاية، وانظر كلام الشارح الآتي. (ف).

(٦) النحل: ٩٨: ١٠٢.

فيه بيان لنزول جبريل به من الله.

فإن روح القدس هو جبريل، بدليل قوله تعالى: ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾[١].

وهو الروح الأمين في قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾[٢]، وفي قوله: ﴿الأمين﴾ دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه، ولا ينقص منه.

وقال في صفته في الآية الأخرى: ﴿إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾[٣].

وفي قوله: ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾[٤] دلالة على أمور:

منها بطلان قول من يقول: إن كلام الله مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية.

وفيها دلالة أيضا على بطلان قول من قال إن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق، إما في جبريل أو محمد، أو في جسم آخر كالهوى كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية، القائلون بأن الكلام العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن

---

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) الشعراء: ١٩٢: ١٩٥.

(٣) التكوير: ١٩، ٢١.

(٤) النحل: ١٠٢.

العربي خلقه ليدل على ذلك المعنى، وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم بإثبات خلق القرآن العربي، وهو كلام باطل بنص الكتاب والسنة: اهـ كلامه(١).

وقال السفاريني في شرح عقيدته ما نصه باحثا بقوله:

قلت: ذكر جماعة من محققي الأشاعرة، السعد التفتازاني والجلال الدواني؛ أنه لا نزاع بين الأشاعرة وبين المعتزلة في تسمية الله تعالى متكلما بمعنى أن يوجد الأصوات والحروف في الغير وهو اللوح المحفوظ، أو جبريل أو النبي، ﷺ، .

وإنما النزاع أن المعتزلة لم يثبتوا غير هذه الأصوات والحروف الموجودة في الغير معنى قائما بذات الباري .

قالوا: ونحن يعني معاشر الأشاعرة نثبته، فإنهم يقولون كلام الله تعالى معنى قائماً بذات الباري تعالى معبر عنه بالعبارات والألفاظ. اهـ كلامه(٢).

والمقصود أن النص القرآني يبين فساد هذا القول. فإن قوله: ﴿نزله روح القدس من ربك﴾(٣) يقتضي نزول القرآن من رب العالمين، والقرآن اسم لهذا الكتاب العربي لفظه ومعناه، بدليل قوله

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١١٧-١١٨) بتصرف. انظر أيضًا لوامع الأنوار (٢/١٦٣ - ١٦٤).

(٢) لوامع الأنوار (٢/١٦٤).

(٣) النحل: ١٠٢.

تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾[١] فإنه إنما يقرأ القرآن العربي لا معانيه المجردة.

وأيضا فضمير المفعول في قوله: (نزله) عائد إلى قوله تعالى: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾[٢]. فالذي أنزله الله هو الذي نزله روح القدس.

فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة، ولا نزله من نفسه.

وإذا كان روح القدس نزل به من الله: علم أنه سمعه منه تبارك وتعالى، وهذا بيان من الله تعالى: أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه ونزل به والله أعلم.

ومذهب السلف أن القرآن كلام الله وأنه قديم[٣] حروفه ومعانيه، وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر، فالمراد أن رسول الله، ﷺ، بلغه عن مرسله، لا أنه قاله من تلقاء نفسه، وهو كلام الله الذي أرسله، كما قاله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك

---

(١) النحل: ٩٨.

(٢) النحل: ١٠١.

(٣) أنكر شيخ الإسلام وصف القرآن بالقدم، وقال إن هذا لم يقله السلف، وتقدم أن كلام الله ومنه القرآن قديم النوع، حادث الآحاد.

فأجره حتى يسمع كلام الله﴾(١) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلام غيره. وموسى عليه السلام سمع كلام الله، عن الله بلا واسطة، وسماع الناس مقيد بواسطة لقوله تعالى: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾**(٢) كما كلم موسى عليه السلام، وكلم نبينا ليلة الإسراء.

وملخص المسألة: أن من قال: أن القرآن الذي يقرأه المسلمون ليس هو كلام الله، وهو كلام غيره، فهو ملحد، مبتدع، ضال، بل هذا القرآن هو كلام الله، وهو مثبت في المصاحف، وهو كلام الله تعالى مبلغاً عنه مسموعاً من القراء، ليس مسموعا عنه تعالى، وهو كلام الله تعالى قديم(٣)، وصوت العبد مخلوق، ولهذ قال النبي، ﷺ، : **«زينوا القرآن بأصواتكم»**(٤) فجعل الكلام كلام الباري، وجعل الصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارىء، وأصوات العباد ليست هي الصوت الذي ينادي الله به، ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع**

---

(١) التوبة: ٦.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) أنكر شيخ الإسلام وصف القرآن بالقدم، وقال إن هذا لم يقله السلف، وتقدم أن كلام الله ومنه القرآن قديم النوع، حادث الآحاد.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤) وأبوداود (١٤٦٨) والنسائي (٢/ ١٧٩، ١٨٠) وابن ماجه (١٣٤٢) والدارمي (٢/ ٣٤٠) من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٤).

البصير﴾(١) لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

فليس علمه مثل علم المخلوقين، ولا قدرته مثل قدرتهم، ولا كلامه مثل كلامهم جل وعلا.

والحاصل أن مذهب أصحابنا الحنابلة، كمذهب السلف، أن الله يتكلم بحرف وصوت، لحديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، أن النبي، ﷺ، قال: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله، كان له بكل حرف حسنة. لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(٢). إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة.

قلت: وهذه المسألة، أعني مسألة الصوت والحرف، قد أفردت بالتأليف، ووقفت على مؤلف لطيف ألفه العلامة أحمد بن عوض المرداوي الحنبلي سماه (طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف)، أجاد فيه وأفاد.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في كتابه: (البرهان في حقيقة القرآن) قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**﴾(٣). وقال تعالى: ﴿**لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا**﴾(٤) وهو هذا الكتاب العربي الذي هو

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: (حسن صحيح غريب) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٦٣٤٥).

(٣) الإنسان: ٢٣.

(٤) النساء: ١٦٦.

مائة وأربع عشرة سورة أولها (الفاتحة)، وآخرها (قل أعوذ برب الناس) مكتـوب بالمصاحف، متلو في المحاريب، مسموع بالآذان، مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور، له أول وآخر وأجزاء، وهو كلام الله. انتهى كلامه[1].

ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار.

قال الحـافظ ابن حجر في شرح البخاري[2]: ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من الملائكة، ولا رسله كلامه، بل ألهمهم إياه إلهاما. وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث وجب الإيمان به، ثم التفويض[3].

وفي حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ، : **«إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السماء صلصلة كجـر السلسلة على الصفـاء فيصعقـون، ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام، فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، فيقولون يا جبريل: ماذا قال ربك؟ قال: يقول الحق فينادون الحق الحق»**، رواه البخاري، وأبو داود، ورجاله ثقات[4].

---

(١) البرهان لابن قدامة (ص٢٦) بتصرف. انظر لوامع الأنوار (١/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٢) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٥٨) وقد تصرف فيه الشارح.

(٣) يعني في الكيفية (ف).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) وابن خزيمة في (التوحيد) (ص١٤٥) والبيهقي في (الأسـماء والصفات) (ص٢٠١) مرفوعًا من هنا يتضح أن البخاري لم يروه =

ونحوه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، رواه البخاري، وأبو داود أيضا، والترمذي، وابن ماجة[1].

وقد روي في إثبات الحرف والصوت، أحاديث تزيد على أربعين حديثا، بعضها صحاح، وبعضها حسان، ويحتج بها، أخرجها الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره، واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث. على أن الحق جل شأنه، يتكلم بحرف وصوت، وقد صححوا هذا الأصل، واعتقدوه على ذلك منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث[2] وسمات النقص[3]. والله أعلم.

= مرفوعًا كما أشار الشارح إنما رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (كتاب التوحيد) (باب/٣٢) (١٣/٤٥٢ فتح) ووصله في (خلق أفعال العباد) (ص٩٢-٩٣) وأخرجه الدارمي (الرد على الجهمية) (ص٩١) وابن خزيمة (ص١٤٦) والبيهقي. وغيرهم والموقوف أصح من المرفوع ولكنه لا يقال من قبل الرأي انظر: (الصحيحة) (١٢٩٣).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨١) والترمذي (٣٢٢٣) وابن ماجة (١٩٦) وقال الترمذي (حسن صحيح). ليس عند أبي داود كما عزاه الشارح تبعًا للسفاريني.

(٢) كلام الله كما سبق قديم النوع حادث الآحاد فنفي الحدوث مطلقاً غير صحيح حتى يفصل. (ف).

(٣) مستفاد من (لوامع الأنوار) (١/١٤٣).

فصـــل

في الكلام على الصفات وأحاديثها وما يجب اعتقاده فيها

فنقـول وبـالله التـوفيق: لما فرغ المصنف من مسألة القرآن أخذ يتكلم على الصفات وأحاديثها فقال:

وأقـــول قـــال الله جـــل جلالـــه

المصطفـــى الهـــادي ولا أتـــأول[١]

(وأقول) أي اعتقد، وقد مر معنى القول[٢] (قال الله جل جلاله) وعظم شأنه في محكم كتابه العزيز: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾**[٣] كقوله: **﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾**[٤] وقوله: **﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك**

---

(١) أي أقول في الصفات ماقال الله وماقاله رسوله، ﷺ، (ف).

(٢) ص: ٤٦.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) طه: ٤٦.

إلي﴾[١] وقوله: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[٢] ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[٣] ﴿بل رفعه الله إليه﴾[٤] وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[٥] وقوله: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾[٦] الآيتان. وقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[٧] ﴿تجري بأعيننا﴾[٨] ونحو ذلك من الآيات والأحاديث مما يجب الإيمان به وتفويض معناه[٩] إلى الله تعالى من غير تأويل.

قلت: ومن هذا الباب آيات الاستواء، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى عليها.

ثم قال الناظم رحمه الله وقال: (المصطفى)، ﷺ، (الهادي) الذي هدى أمته من الضلالة، وبصرهم من الجهالة، ومن جملته ما قاله، ﷺ، من أحاديث هذا الباب كقوله عليه السلام: «إن الله كتب

---

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) النجم: ٨، ٩.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) النساء: ١٥٨.

(٥) النحل: ٥.

(٦) الملك: ١٦، ١٧.

(٧) ص: ٧٥.

(٨) القمر: ١٤.

(٩) المعنى لا يفوض لأنه معلوم وإنما تفوض الكيفية. (ف).

التوراة بيده[١]، وغرس جنة عدن بيده[٢]، وإن الله تعالى ينزل آخر الليل حين يبقى ثلثه الأخير إلى سماء الدنيا»[٣] الحديث.

وحديث: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن». الحديث[٤].

وحديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة وفيه «. . . أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده. .» وفي رواية لمسلم «كتب لك التوراة بيده».

(٢) أخرج الدارمي في (النقض على المريسي) (ص٣٥، ٩٠). واللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٧٢٩، ٧٣٠) عن مجاهد قال قال عبد الله بن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وآدم وجنة عدن وقال لسائر خلقه كن فكان». وهو موقوف. وجود إسناده الذهبي في العلو وصححه الألباني في (مختصر العلو) (٤٢) وقد روى في معناه عدة أحاديث مرفوعة لكنها ضعيفة راجع السلسلة الضعيفة (١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥) والله أعلم.

(٣) حديث النزول متواتر كما سيأتي بيانه في الكلام على مسألة النزول.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) وأحمد (٢/ ١٦٠) والحميدي (٥٩١) والحاكم (٤/ ١٥٩) وصححه ووافقه الذهبي وقال الترمذي «حسن صحيح» من حديث عبد الله بن عمرو. ولكن فيه مجهول وله شواهد يتقوى بها - راجع الصحيحة (٩٢٥).

وكقوله: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾[١] وكقوله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾[٢] ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[٣]. ﴿يحبهم ويحبونه﴾[٤]. وكقوله: ﴿غضب الله عليهم﴾[٥]. وكقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[٦]. ونحو ذلك من الآيات والحديث مما صح سنده.

فكل ذلك مما يجب الإيمان بظاهره، وتفويض معناه[٧] إلى الله تعالى لا يفسر ولا يؤول، بل تفسيره قراءته، وإمراره على ظاهره من غير تعرض لمعناه. وقد علمت اتفاق السلف على الإقرار والإمرار ذكره الموفق في عقيدته. فلذلك قال الناظم: (ولا أتأول) ذلك مما مر من الآيات والأحاديث الواردة في الصفات. وسيأتي لهذا الكلام تتمة. والسكوت أسلم.

---

(١) الزمر: ٦٧.
(٢) البقرة: ١٥٣.
(٣) النحل: ١٢٨.
(٤) المائدة: ٥٤.
(٥) الممتحنة: ١٣.
(٦) البينة: ٨.
(٧) انظر ماذكرنا في التعليق رقم ٩ ص٥٧. (ف).

فصــــل

ولما فرغ الناظم من الكلام على آيات الصفات وأحاديثها. أخذ يتكلم على مسألة الاستواء وما يجب اعتقاده فيها: فقال:

وجميـــع آيـــات الصفـــات أمرهـــا
حقًّـــا كمـــا نقـــل الطـــراز الأول
وأرد عهدتهـــــا إلـــــى نقالهـــــا
وأصونهـــا عـــن كـــل مـــا يتخيـــل
قبحـــاً لمـــن نبـــذ القـــرآن وراءه
وإذا استـــدل يقـــول قـــال الأخطـــل

(وجميع آيات الصفات) الواردة في الكتاب والسنة مما تقدم ذكره، فنقول:

اعلم وفقك الله تعالى: أن هذه المسألة، أعني مسألة الاستواء مسألة عظيمة، قد اختلف فيها اختلافاً كثيراً. وضلت فيها طوائف من الجهمية والمعتزلة.

والصواب فيها ما كان عليه النبي، ﷺ، وأصحابه الكرام، وأئمة السلف الأعلام، فأشار الناظم في هذا البيت إلى مسألة الاستواء، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد استوى على عرشه من فوق سمواته

استواء، يليق بجلاله، كما ورد ذلك في الآيات والأحاديث النبوية، والنصوص السلفية، مما لا يحصى، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله، ﷺ، من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر أئمة الدين، بأن الله تعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عددا، قال الله تعالى في كتابه العزيز: **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض﴾** الآية[١].

قال المصنف رحمه الله في كتابه الحموية[٢]: على قوله تعالى: **﴿هو الذي خلق السموات والأرض﴾** الخ. الآية فقوله: **﴿ثم استوى على العرش﴾** يتضمن إبطال قول المعطلة الجهمية الذين يقولون: (ليس على العرش استوى) وأن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم، ولا رفع إليه المسيح، ولا عرج برسوله محمد، ﷺ، إليه، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل بوحي من الله تعالى.

وقوله تعالى: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾**[٣] الآية.

---

(١) الحديد: ٤.

(٢) هذا عزو خطأ من الشارح إنما هو نص كلام ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) (ص٢٨-٣٣) انظر أيضا (لوامع الأنوار) (١/ ١٩٠). والله أعلم.

(٣) الأعراف: ٥٤.

وقوله: ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلىٰ، الرحمن على العرش استوى﴾(١) وقوله: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾(٢) وقوله: ﴿ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾(٣) الآية، فذكر فيها عموم علمه وقدرته وإحاطته ورؤيته إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأحاديث: فمنها قصة المعراج وهي متواترة(٤)، «**وتجاوز النبي، ﷺ، سماءً سماءً حتى انتهى إلى ربه فقربه وأدناه وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه تبارك وتعالى، ينزل من عند ربه فيسأله موسى كم فرض**

---

(١) طه: ٤، ٥.

(٢) الفرقان: ٥٩.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) روى قصة الإسراء والمعراج عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة منهم أنس وعمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وغيرهم كما ذكرهم الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) كما أشار الحافظ، ابن كثير في (تفسيره) (٣/ ٢٤) وذكرهم أيضا محمد بن يوسف الصالحي في كتابه (سبيل الهدى والرشاد) (٣/ ١١٠-١١٢) وبذلك تكون قصة الإسراء والمعراج في مجموعها متواترة كما قال غير واحد من الأئمة. منهم: الحافظ عمر بن دحية والقرطبي كما في (تفسيره) (٥/ ٣٨٢١) وابن تيمية كما في (الفرقان بين الحق والباطل) (ص١٣٠) وابن القيم كما نقل الشارح عنه في (اجتماع الجيوش) (ص٢٩).

عليك ربك؟ فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عن أمتك؟ فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف. الحديث[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي»**[٢]. وفي لفظ: **«كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده، إن رحمتي تغلب غضبي»**[٣] رواه البخاري: في كتاب التوحيد من صحيحه من حديث أنس: حديث الإسراء. وفيه: ثم علا به يعني جبريل ـ إلى أن قال ـ فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى. الحديث بطوله[٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك عن أبي ذر. وأخرجه البخاري (٣٢٠٧)، (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وأخرجه البخاري (٧٥١٧) من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس وأخرجه مسلم (١٦٢) من رواية ثابت البناني عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤) وفي غير موضع ومسلم (٢٧٥١) (١٤) ووقع عند البخاري «لما قضى الله . . . .».

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥١) (١٦) ولفظ البخاري (٧٤٠٤) «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ـ وهو يكتب على نفسه وهو وضع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي».

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٧) وهو من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر الذي غلطه الحفاظ في ألفاظ من حديث الإسراء وقد عد الحافظ ابن حجر لشريك اثنى عشر وهمًا في حديثه هذا انظرها في الفتح (١٣/٤٨٥-٤٨٦) منها قوله المذكور «فعلا به إلى الجبار فقال: وهو مكانه».

وقال، ﷺ، في حكومة سعد بن معاذ في بني قريظة: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة**».

وفي لفظ من فوق سبع سموات، وأصل القصة في الصحيحين(١).

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله، ﷺ، فعظم ذلك علي فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: بلى ائتني بها؛ فجئت بها رسول الله، ﷺ، فقال لها: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**إنها مؤمنة**».

وفي لفظ اعتقها فإنها مؤمنة(٢).

قال الحافظ الذهبي: في كتاب العرش(٣)، روى هذا الحديث مسلم، وأبو داود، والنسائي، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يؤدونه كما جاء».

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٢٠) بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري كما قال الألباني في (مختصر العلو) (ص٨٧) والحديث أصله أخرجه البخاري (٣٠٤٣) وفي غير موضع ومسلم (١٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (١٨/٣).

(٣) هذا النص في كتاب (العلو للعلي الغفار) وقد قيل إن له كتاباً آخر اسمه كتاب (العرش) ولم نقف على هذا الكتاب راجع كتاب الذهبي للدكتور بشار عواد (ص١٤٨).

كانت زينب تفخر على نساء النبي، ﷺ، وفي لفظ على أزواج النبي، ﷺ، فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات(١) وقال، ﷺ، في حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، ويعلم ما أنتم عليه**» رواه الإمام أحمد في المسند. ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد(٢).

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي، ﷺ، شعرًا(٣):

شهدت بأن وعد الله حق
وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) والترمذي (٣٢١٣) باللفظ المذكور وأخرجه البخاري (٧٤٢١) بلفظ (أن الله أنكحني في السماء) وكذا النسائي (٦/ ٨٠) وأحمد (٣/٢٢٦) لكنهما قالا «من السماء».

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٠٦-٢٠٧) وأبو داود (٢٧٢٤) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وابن خزيمة في (التوحيد) (ص١٠١) وابن أبي عاصم في (السنة) (٥٧٧) وغيرهم وإسناده ضعيف فيه عبد الله بن عميرة قال الذهبي: «فيه جهالة» وضعفه الألباني في تحقيق (السنة) (١/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه الدارمي في (الرد على الجهمية) (ص٢٧) وفي إسناده قدامة بن إبراهيم أورده ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) (٣/ ٢/ ١٢٩) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ونقل ابن القيم في (اجتماع الجيوش) (ص١٢٣) تصحيح ابن عبد البر ومحمد بن عثمان الحافظ لهذه القصة والله أعلم.

ويحملـــه ملائكـــة كـــرام
ملائكـــة الإلـــه مسومينـــا

وقد ذكر الله تعالى استواءه على العرش في سبع آيات من كتابه، فتارة يخبر بعروج الملائكة، وصعودها، وارتفاعها إليه. وتارة يخبر بنزولها من عنده. وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى، كقوله تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾[1]، ﴿**وهو العلي العظيم**﴾[2].

وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا تحصى.

قال العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه: (أقاويل الثقات في تأويل الصفات):

ومما احتج به أهل الإثبات: بأنه الذي طبع الله عليه أهل الفطرة العقلية السليمة من الأولين والآخرين الذين يقولون إنه فوق العالم إذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري لا يتوقف على سمع.

قالوا: ولم يقل قائل يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، وأما العلم: (بأنه تعالى استوى على عرشه، بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام، فهذا سمعي علم بالوحي على الأنبياء، فأخبروا عليهم السلام أممهم بذلك). انتهى[3].

قال سيدنا الكبير الشيخ عبد القادر الحنبلي الجيلاني رحمه الله ونفعنا به في الدارين[4] في كتابه الغنية في الفقه:

---

(١) الأعلى: ١. (٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) نقلاً عن (لوامع الأنوار) (١/١٩٦).

(٤) هذا فيه غلو فلو قال: نفعنا بعلمه لكان أحسن. (ف).

قال: وهو تعالى بجهة العلو مستو على العرش، محيط علمه بالأشياء: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[١]. ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ الآية[٢].

ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه على العرش استوى، كما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[٣] ثم قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وإنه استواء الذات على العرش.

ثم قال: وكونه مستويا على العرش، مذكور في كل كتاب أنزله على نبي أرسله بلا كيف، هذا نص كلامه. انتهى[٤].

قال العلامة السفاريني في شرح عقيدته لما ساق كلام الشيخ عبدالقادر الحنبلي رحمه الله ما نصه:

إذا علمت هذا فاعلم أن كثيرا من الناس يظنون أن القائل بالجهة[٥] والاستواء، هو من المجسمة لأنهم يتوهمون أن من لازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد، وظن كاذب. فإن أهل الإثبات المتبعين

(١) فاطر: ١٠.
(٢) السجدة: ٥.
(٣) طه: ٥.
(٤) الغنية: باب في معرفة الصانع عز وجل (ص٩٤ - ٩٧) أنظر (لوامع الأنوار) (١٩٦/١).
(٥) أي جهة العلو لله سبحانه ولفظه الجهة فيه اجمال لابد من تفصيله فإن أريد بالجهة إثبات علوه على خلقه فهذا ثابت وحق وإن أريد أنه حال في شيء من مخلوقاته فهذا باطل. (ف).

للنصوص من الأخبار والآيات، ينزهون الله تعالى عن التكييف والحد. ويعتقدون أن من وصفه تعالى بالجسم أو كيفه، فقد زاغ وألحد[١] كما أشار إلى ذلك السفاريني الحنبلي في عقيدته بقوله: [٢]

سبحانه قد استوى كما ورد
من غير كيف قد تعالى أن يحد
فلا يحيط علمنا بذاته
كذاك لا ينفك عن صفاته

وروى اللالكائي الحافظ رحمه الله في كتاب السنة، من طريق قرة ابن خالد بن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ، عن أمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[٣] الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، والبحث عنه كفر[٤]، وهذا له حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.

---

(١) (لوامع الأنوار) (ص١٩٨ ـ ١٩٩) بتصرف يسير.
(٢) لوامع الأنوار (١/ ١٨١ ـ ٢١٣).
(٣) طه: ٥.
(٤) أخرجه اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٦٦٣) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥) «وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا. ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» فيه محمد بن أشرس قال الذهبي في المغني (٥٣١٢) «ضعيف بمرة واتهمه بعضهم وتركه محمد بن يعقوب بن الأحرم.

وروى يحيى بن آدم عن أبيه وابن عيينة قال: سئل ربيعة بن عبدالرحمن وهو شيخ الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق[2].

وروي نحو ذلك عن الإمام مالك رضي الله عنه[8]، رواه عنه ابن عبد البر في التمهيد.

وروي عن الإمام الشافعي -رضي الله عنه-، أنه سئل عن الاستواء فقال: آمنت بالله بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض غاية الإمساك[4].

وعن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، لما سئل عن الاستواء أجاب

---

(١) طه: ٥.

(٢) أخرجه اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٦٦٥) والبيهقي في (الأسماء والصفات) بسند آخر واختلاف في اللفظ يسير قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٥/٣٦٥) ثابت عن ربيعة شيخ مالك وصححه الألباني في (مختصر العلو) (٩٧).

(٣) أخرجه الدارمي في (الرد على الجهمية) (ص٣٣) واللالكائي (٦٦٤) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (٤٠٨) وابن عبد البر في (التمهيد) (٧/١٥١) من طرق عنه.
قال الذهبي في (العلو): «هذا ثابت عن مالك».
وقواه الشيخ الألباني في (مختصر العلو) (ص١٤١).

(٤) انظر (لوامع الأنوار) (١/٢٠٠).

بقوله: استوى كما ذكر، لا كما يخطر للبشر[١].

وقال السفاريني في شرح عقيدته: المسماة بالدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ما نصه:

فمعنى قول أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، ومن نحا نحوها من الأئمة، (الاستواء معلوم): أي وصف الله تعالى بأنه على العرش استوى معلوم بطريق القطع الثابت بالتواتر[٢].

وأما الوقوف على حقيقة أمر يعود إلى الكيفية فمجهول، والجهالة فيه من جهة أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الكيفية، لأنها تبع للماهية (والسؤال عنه بدعة)، لأن الصحابة لم يسألوا عنه النبي، ﷺ، والتابعين لم يسألوا الصحابة، ولأن جوابه يتضمن الكيفية، ولهذا قيل في الجواب: لمن دخلت عليهم الشبهة، طالبين بسؤالهم التكييف، (الكيف مجهول)، فالذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتباع السلف، إنما هو علم العباد بالكيفية، فعندها تنقطع الأطماع، وعن إدراكها تقصر العقول، والوقف على درج سلم التسليم تنتهي همم الأئمة الفحول، فسبحان الله تعالى عما يقوله المعطلة والممثلة علوًّا كبيراً.

قال الإمام القرطبي، وأبو زيد القيرواني، والقاضي عبد الوهاب المالكي، وجماعة من شيوخ الفقه والحديث، وابن عبد البر والقاضي أبو بكر بن العربي، وابن فورك، وغيرهم مما لا يحصى عددهم أن الله

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٠).

(٢) ومعلوم معناه أيضا وهو المراد بقوله: «الاستواء معلوم» أي معلوم معناه. (ف).

سبحانه مستو على العرش بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق عرشه(١).

قلت وهو الذي به نقول: وقد أشار إلى ذلك المحقق ابن القيم في نونيته(٢):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بعض كتبه: استوى على عرشه على الوجه الذي يستحقه سبحانه وتعالى من الصفات اللائقة به.

إلى أن قال: ما أخبر به الرسول عن ربه، فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أم لم نعرفه، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة، وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها.

مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً عليه في الكتاب والسنة

---

(١) (لوامع الأنوار) (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣).

(٢) النونية (فصل في الإشارة إلى الطريق النقلية الدالة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه.

ومنه قوله:

هذا وسادس عشرها إجماع أهل ... العلم أعني حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له ... أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرة بمخالف لهم ولو ... كانوا عديد الشاء والبعران
إن الذي فوق السموات العلى ... والعرش وهو مباين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده ... حقًّا على العرش استوى الرحمن

ومتفق عليه بين سلف الأمة[١].

وقال أيضا في رسالته التدمرية: أما علوه تعالى ومباينته للمخلوقات، فيعلم بالعقل، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به السمع وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينه، ولا مداخله، فيظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام، فتعالى الله وتقدس عن ذلك؛ فهذا خطأ في مفهوم استوائه على العرش حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان. فإنه ليس في اللفظ ما يدل على ذلك لأنه تعالى أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته، فذكر أنه خلق ثم استوى، كما ذكر أنه قدر فهدى، وقد علم أنه الغني عن الخلق. انتهى[٢].

واعلم أن مذهب أصحابنا الحنابلة، كمذهب السلف، أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإن الله تعالى ذات لا تشبه الذوات، ومتصف بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات المحدثات، فإذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم، ووجب إثباته على الوجه الذي ورد،

---

(١) الرسالة التدمرية (ص٢٢).

(٢) الرسالة التدمرية (ص٢٦ ـ ٢٧) بتصرف.

ونكل معناه[١] للعزيز الحكيم؛ ولا نعدل به عن حقيقة وصفه، ولا نلحد في كلامه، ولا في أسمائه وصفاته، ولا نزيد على ما ورد، ولا نلتفت لمن طعن في ذلك ورد.

فهذا اعتقاد سائر الحنابلة، كسائر السلف، فمن عدل عن هذا المنهج القويم، زاغ عن الصراط المستقيم.

فمذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ﷺ، من غير تحريف ولا تكييف؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

فكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً[٢] فالله منزه عنه حقيقة، وأنه مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه.

فمذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه، وتفويض علمه إلى الله تعالى.

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ، وناهيك به، كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره، إلا الله تعالى ورسوله[٣]، فهذا مذهب سلف الأمة:

---

(١) الذي يوكل إلى الله هو علم الكيفية أما المعنى فهو معلوم. (ف).

(٢) هذا فيه أجمال كما سبق. (ف).

(٣) ذكر هذا النص البغوي في (شرح السنة) (١/ ١٧١) وأخرج اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٧٣٦) عن ابن عيينة كان يقول: «كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل».

قال العلامة المحقق السفاريني الأثري رحمه الله تعالى، في شرح عقيدته: المسمى بلوامع الأنوار البهية، ما نصه[١]:

فمذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها، بأنها لا تؤول ولا تفسر، بل يجب الإيمان بها، وتفويض معناها[٢] المراد منها إلى الله تعالى.

فقد روى الحافظ اللالكائي عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب، على الإيمان بالصفات من غير تفسير[٣]، ولا تشبيه[٤].

قال العلامة فقيه الحنابلة وعالمهم الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وغيره: مضت أئمة السلف على الإيمان بظاهر ما جاء في الكتاب من آيات الصفات وأحاديثها.

وكان الزهري، والأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، والليث ابن سعد، وعبد الله بن المبارك، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم - رحمهم الله تعالى[٥] -، يقولون: في آيات الصفات

---

(١) لوامع الأنوار (١/ ٢١٩).

(٢) المعنى لا يفوض لأنه معلوم وإنما تفوض الكيفية. (ف).

(٣) أي تكييف. (ف).

(٤) رواه اللالكائي (٧٤٠) مطولاً وقد ذكره السفاريني بالمعنى.

(٥) تراجع أقوالهم عند اللالكائي (٣/ ٤٣١) والحموية (ص٤٤٢) و(اجتماع الجيوش) لابن القيم ومختصر العلو (ص١٤٤ - ١٤٣).

وأحاديثها، مروها كما جاءت[1]، وتقدم قول سفيان بن عيينة.

وكذا كل ما جاء في الحديث من ذكر الوجه، واليد، والنزول، والعين، والأصابع، ونحو ذلك، مما صح سنده وثبت في السنة من هذا الباب، فهذا كله نمره ونكل معناه إلى الله، فلا نفسره[2]، ولا نعترض لمعناه بتأويل، وهو مذهب السلف كما تقدم.

وقد تقدم قول الإمام الموفق: بأن السلف قد اتفقوا على الإقرار والإمرار بآيات الصفات وأحاديثها، بلا كيف، فلهذا قال الناظم ـ رحمه الله ـ (أمرها حقا) بلا تكييف، ولا تمثيل؛ ولا تعطيل لها، ولا تأويل، بل مذهبنا الإقرار والإمرار كما تقدم.

فلهذا قال: (كما نقل الطراز الأول) أي الرعيل الأول ممن تقدم ذكرهم قريبا، كالسفيانين الثوري، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل، وابن المبارك، وابن راهويه، وغيرهم من أئمة السلف، نفعنا الله بهم.

قال الناظم: رحمه الله تعالى (وأرد عهدتها) أي آيات الصفات وأحاديثها، والمراد (بعهدتها) أي الخروج من تبعتها. أي أصون اعتقادي عن الخوض فيها بعزوها إلى نقالها، أي ناقليها أي الأئمة الأثبات، ومخرجيها المهرة الثقات، رحمهم الله تعالى قال الناظم (وأصونها) أي أحميها، فالصيانة هنا هي الحماية، أي أصون آيات

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الحموية) (٤٤٢) فقولهم رضي الله عنهم «أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة».

(٢) سبق بيان المراد من هذه العبارة.

الصفات وأحاديثها، عن الخوض في معناها؛ بتأويل، أو تشبيه؛ أو تعطيل؛ أو تكييف، بل عن كل ما يتخيل بالبال، أو يخطر بالخيال، فمتى خطر ببالك شيء من ذلك؛ فالله بخلاف ذلك.

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ كل ما أخبر الله تعالى به في كتابه من صفاته فهو كما أخبر لا كما يخطر للبشر. والله أعلم.

ثم أن الشيخ الناظم ـ رحمه الله ـ ذم من ترك السنة ورغب عما اتفق عليه الأئمة بقوله (قبحاً لمن) الذي (نبذ القرآن) العظيم (وراءه) أي وراءه ظهريًّا بأن أعرض عنه، ورغب عن هديه والاقتداء به، والاستيضاء بأنواره، واتبع هواه، فسلك غير طريقه المستقيم، ونهجه القويم، فحكم المعقول ونبذ صريح المنقول.

فتارة يقول القرآن عبارة عن كلام الله تعالى وإنما كلامه القائم بنفسه المقدسة جل وعلا.

وتارة يقول القرآن حكاية عن كلام الله.

وقد أشبع المصنف ابن تيمية الرد على من قال بالكلام النفسي وأبطله من نحو تسعين وجهاً[١]، ذكره تلميذه في كتابه النونية[٢].

---

(١) في رسالته المسماة بالتسعينية. (ف).

(٢) قال ابن القيم:

وكذاك تسعينية فيها له ... رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهًا بينت بطلانه ... أعني كلام النفس ذا الوجدان
وكذا قواعدها الكبار فإنها ... أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها ... فأشرت بعض إشارة لبيان

نكتة: حكي أن الشيخ ابن تيمية مر على أبي حامد الاسفرائيني ولم يسلم عليه، فقال له الاسفرائيني: لم لا تسلم؟ فقال: قد سلمت في نفسي لأن من لازم مذهبك القول بذلك فعجب منه. انتهى(١).

ومن العجب أن من قال بذلك ليس عنده دليل إلاّ قول هذا الشاعر النصراني، وهو الأخطل(٢) بقوله:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا

جعـل اللســان علـى الفــؤاد دليـــلا

نعوذ بالله من التجاهل ما هذا إلا مكابرة للحق بعد ظهوره.

قلت: واستدلالهم على هذه المسألة العظيمة أعني مسألة الكلام كاستدلال بعضهم على مسألة الاستواء بالاستيلاء بقول الشاعر(٣):

قد استوى بشر على العراق. الخ

وكلاهما باطل من وجوه ليس هذا موضع ذكرها.

---

(١) شيخ الإسلام لم يدرك أباحامد الاسفرائيني والحكاية ذكرها السبكي في طبقات الشافعية إن الموفق مر على ابن عساكر. الخ ابن مانع.

(٢) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي نشأ في العراق بين قومه تغلب وهو شاعر نصراني فصيح سليط اللسان مدمن على شرب الخمر توفي سنة (٩٢هـ) وله (٧٠ سنة). انظر (البداية والنهاية) (٩/ ٩٧) وتاريخ (الأدب العربي) (ص٦١).

(٣) **قـد استـوى بشـــر علـى العـــراق مـــن غيـر سيـــف ودم مهـــراق**

قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٥/ ١٤٦): «ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: أنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة».

وقد تقدم أن القرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، تكلم به حقيقة، وأنزله وحياً على رسوله محمد، ﷺ، .

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ؛ القرآن كيف تصرف! فهو غير مخلوق، ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلط من قال بها وجهله، فقال: من قال إن القرآن عبارة عن كلام الله؟ فقد غلط وجهل.

وقال أحمد: قوله تعالى (تكليما) يبطل الحكاية، منه بدا وإليه يعود [انتهى. فلهذا أشار الناظم بقوله: (لمن نبذ القرآن؟)][(١)] باستدلاله بدليل غير مرضيٍ عند أهل السنة والجماعة، مع فساده أيضاً عقلاً ونقلاً، واستدلالهم لهذا كاستدلال المعتزلة على مسألة الاستواء، بقول الشاعر بالاستيلاء، قد استوى بشر على العراق. الخ.

وهذا أيضاً باطل من وجوه ليس هذا موضع ذكرها، فأين الحياء من الله، ومن رسوله، ومن أئمة المسلمين وعامتهم، والاستدلال على تلك المسألتين العظيمتين اللتين الكلام فيهما مزلة أقدام، ومضلة أفهام، نسأل الله التوفيق والثبات إلى المهات آمين.

وقد صرح الناظم رحمه الله بالذم على من رغب عن منهاج أهل السنة؛ وبين العلة في ذلك بقوله: (وإذا استدل) على مسألة القرآن

---

(١) مابين القوسين مشطوب عليه في الأصل ولا يظهر المعنى إلا به، أو يكون قوله: باستدلاله متصلا بقوله: فقد غلط وجهل، فيكون فيه تقديم وتأخير، بالنسبة لكلام أحمد الثاني الذي بين الخطين: فعلى هذا يكون تقدير الكلام فقد غلط وجهل باستدلاله بدليل غير مرضي. الخ. والله أعلم بالصواب.

ومسألة الكلام يقول هو (قال الأخطل) بقوله:

قد استوى: إشارة إلى قول الأخطل المتقدم ذكره[١].

قال الموفق[٢]: سألت شيخنا في العربية أبا الخشاب عن هذا البيت، فقال: فتشت دواوين الأخطل القديمة، فلم أر هذا البيت فيها!

وإنما وجدت:

إن البيان لفي الفؤاد. . .

فحرفوه إلى آخره، والله أعلم.

تنبيه: قال الإمام أحمد وغيره لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وكماله المقدس مقتض لكلامه؛ وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كاملا، والمتكلم أكمل ممن لم يتكلم. انتهى بحروفه.

---

(١) المراد قول الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد. . . البيت. (ف).

(٢) البرهان (ص٧٤) وقد تصرف فيه الشارح.

فصـــل

ولما أنهىٰ الناظم الكلام على مسألة القرآن والاستواء:

شرع يتكلم على الرؤية، والنزول، فقال:

والمؤمنون يرون حقًّا ربهم

(والمؤمنون) بربهم ورسله إيمانا لا يعتريه شك (يرون حقا ربهم) يوم القيامة، يعني في الجنة، أي حقيقة لا مجازاً، فنقول: وبالله التوفيـق، اعلم أن الله تعالى: ينظر يوم القيامة بالأبصار في دار القرار باتفاق أئمـة الدين الأخيار، كما جاءت به النصوص القرآنية، وتواترت به الأحاديث النبوية والآثار السلفية، وأجمع عليه أهل الحق من الطائفة الإسـلامية، فرؤية الله رب العالمين أعظم وأجل نعيم الجنة، وهي النهاية العظمى التي شمر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون على ثبوتها في دار القرار، وإنما أنكرها أهل البدع والاعتزال.

قال الله تعـالى: ﴿**وجـوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾[2] إلى غير ذلك.

---

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) يونس: ٢٦.

وقال في حق أهل الكفر والفجور: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾(١). وقال تعالى: ﴿**ولدينا مزيد**﴾(٢) فهذه أربعة نصوص قرآنية.

وأما الأحاديث النبوية فكثيرة جدا.

فأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب - رضي الله عنه - عن النبي، ﷺ، قال: «**إذا دخل أهل الجنة، الجنة؛ يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم**» فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: «**فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم**»(٣).

ثم تلا هذه الآية: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾(٤).

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، **عن أبي موسى الأشعري** - رضي الله عنه - عن النبي، ﷺ، قال: «**إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي بصوت يسمع أولهم وآخرهم يا أهل الجنة، إن الله وعدكم الحسنى وزيادة**». (الحسنى) الجنة (والزيادة) النظر إلى وجه الرحمن(٥).

---

(١) المطففين: ١٥. (٢) ق: ٣٥.

(٣) أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٢) وابن ماجه (١٨٧) وأحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، (٦/ ١٥). (٤) يونس: ٢٦.

(٥) أخرجه الطبري في (تفسيره) (١١/ ٧٤) واللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٧٨٢) بإسناد ضعيف جدًّا فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك كما في (التقريب).

قال الإمام الحافظ البيهقي في كتاب (الرؤية): هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف؛ وفسروا قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(١)، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حسنة، ﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال: ناظرة إلى الخالق. وقال عكرمة: (ناضرة) من النعيم (إلى ربها ناظرة) قال: تنظر إلى الله نظراً. أخرجه ابن أبي حاتم، واللالكائي، عن الحسن في قوله: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(٢) قال: إذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق، يعني المؤمنون، ويحجب عنه الكفار فلا يرونه(٣).

فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي، ﷺ، وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر(٤) عند أئمة الحديث.

وأما الأحاديث الواردة في الرؤية: فأخرج اللالكائي في السنة، من طريق مفضل بن غسان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية، كلها صحاح(٥).

---

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) المطففين: ١٥.

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٠٥).

(٤) الأحاديث الواردة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة كثيرة جدًّا حتى بلغت حد التواتر كما جزم به جمع من الأئمة (راجع شرح العقيدة الطحاوية) (ص٢٠٣ فما بعدها) ولوامع الأنوار (٢/ ٢٤٠ فما بعدها)

(٥) أخرجه اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٨٥٧).

وقد ورد ذلك من حديث الصديق، وأنس، وجابر، وجرير البجلي، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت؛ وصهيب، وعبادة بن الصامت، وابن عباس، وابن عمر؛ وابن مسعود، ولقيط بن عامر، وأبي رزين، وعلي بن أبي طالب، وعدي بن حاتم، وعمار بن ياسر، وفضالة بن عبيد، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وبريدة بن الحصيب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. في البخاري، ومسلم، وغيرهما: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن أناساً قالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله، ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**». الحديث(١).

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جرير البجلي قال: كنا جلوساً مع النبي، ﷺ، ننظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة، قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب**» الخ(٢).

قال العلماء: المعنى ترون ربكم، رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها الريبة، كرؤيتكم القمر لا ترتابون، ولا تمترون. وفي لفظ لا تضامون، وروى بتخفيف الميم وضم أوله من الضيم، أي

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣) ومسلم (٦٣٣) وأبو داود (٤٧٢٩) والترمذي (٢٥٥١) وابن ماجه (١٧٧) وقال الترمذي: (حسن صحيح).

لا يلحقهم في رؤيته ضيم، ولا مشقة، وبتشديدها والفتح على حرف التاء، أي لا يضام بعضكم بعضا. يريد أنكم ترونه، وكل واحد في مكانه[(١)].

وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك، في سوق الجنة. قال سعيد: فيها سوق، قال: نعم. أخبرني رسول الله، ﷺ: **«أن أهل الجنة، إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك، والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلساً»**، قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: **«نعم. هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟»** قلت: لا، قال: **«كذلك لا تضارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل، إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول: (للرجل مهيم يا فلان، ابن فلان؟ أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره بعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه»**[(٢)]، والأحاديث في ذلك كثيرة جدا.

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وابن أبي عاصم في (السنة) (٥٨٥) وضعفه الألباني في (الضعيفة) (١٧٢٢).

وقد خص الله سبحانه رؤيته في الآخرة بالمؤمنين، وحجب عنها الكافرين، والمكذبين لها بقوله: **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾**(١) الآيات.

قال علي بن المديني، سألت عبد الله بن المبارك، عن رؤية الله تعالى، فقال: ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه، ثم قرأ: **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم إنهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾**(٢) قال الرؤية(٣)، فقلت: إن عندنا قوما من المعتزلة، ينكرون هذه الأحاديث: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، وإن أهل الجنة يرون ربهم**»، فحدثني يعني ابن المبارك، بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله، ﷺ، فهم عمن أخذوه(٤).

وقال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ولم يزل يملي لهم يعني المبتدعة من الجهمية، وأضرابهم الشيطان، حتى جحدوا قوله تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**(٥) فقالوا: لا يراه أحد يوم

---

(١) المطففين: ١٥.

(٢) المطففين: ١٥ إلى ١٧.

(٣) أخرج اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٨٩٤) مثله عن نعيم بن حماد عن ابن المبارك.

(٤) لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٥).

(٥) القيامة: ٢٢، ٢٣.

القيامـة، فجحـدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة، من النظر إلى وجهه الكريم، ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له، ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين، ويفلج بها حجتهم على الجـاحـدين، وهم ﴿**عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[1] لا يرونه، كما زعموا أنه لا يرى، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم[2].

(ويحجب عنها): أي الرؤية (المكذب) بها،. أي برؤيته وتكليمه لعباده المؤمنين للآيات المتقدمة. انتهى[3].

وقال سيدنا الإمام أحمد: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي.

وقال أيضا: وقد بلغه عن رجل قال: إن الله لا يرى في الآخرة؟ فغضب غضباً شديداً، وقال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة؟ فهو كافر، أو فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائناً من كان من الناس، أليس يقـول الله عز وجـل: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ وقال: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾.

وقال أيضا: من كذب بالرؤية فهو زنديق.

وقال أيضا: نؤمن بها، أي الرؤية وأحاديثها، ونعلم أنها حق.

---

(١) المطففين: ١٥.

(٢) أخرجه اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٨٧٣).

(٣) لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٥).

فنؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيها، ولا نرتاب.

وقال من زعم أن الله لا يرى في الآخرة، فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وقال أبو عبد الله أيضاً، إذا لم نقر بما جاء عن النبي، ﷺ، رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ الآية.

قلت: فهذه ستة نصوص عن الإمام أحمد بن حنبل[1] رحمه الله تعالى فهو إمام كل سلفي.

(١) لوامع الأنوار (٢/٢٤٦).

فصـــل

في الكلام على مسألة النزول: فنقول: لما فرغ الناظم رحمه الله تعالى من الكلام على الرؤية أخذ يتكلم على النزول، فقال:

وإلى السماء بغير كيف ينزل..

(وإلى السماء الدنيا بغير كيف ينزل) سبحانه وتعالى بلا كيف، كما أنه استوى على عرشه بلا كيف.

واعلم وفقك الله تعالى أن هذه المسألة أعني مسألة النزول مما يثبتها السلف ولا يتأولونه كالاستواء وغيرها من الصفات، والأحاديث في ذلك كثيرة جدا:(١)

---

(١) حديث النزول: متواتر كما قال غير واحد من الحفاظ كأبي زرعة والذهبي في (العلو) وابن عبد الهادي في (الصارم). وقد ورد عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجبير بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وخلق سواهم، انظر أحاديثهم في (النزول) للدارقطني، و (إرواء الغليل) (٢/ ١٩٥ - ١٩٩).و (الشريعة) للآجرى (ص٣٠٦ - ٣١٣) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب باسم (شرح حديث النزول).

منهـا ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عائشة أن النبي ، ﷺ ، قال : «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب**»(١) .

ولحديث الإمام أحمد ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ، ﷺ : «**أن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا فينادي هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر**»(٢) رواه البخاري وغيره(٣) .

قال الحافظ ابن حجر في كتاب فتح الباري : قد اختلفوا في معنى

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذي (٧٣٩) وابن ماجة (١٣٨٩) وغيرهم ولفظه : «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا . . . » الحديث وقد سقط منه هنا «ليلة النصف من شعبان» وإسناده ضعيف . قال الترمذي : وسمعت محمـدًا (يعني البخـاري) يضعف هذا الحـديث . وللحديث شواهد كثيرة في مفرداتها ضعف صححه بها الشيخ الألباني في (الصحيحة) (١١٤٤) والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) في صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه وأحمد (٢/ ٣٨٣)، (٣/ ٣٤، ٤٣، ٩٤) وغيرهما .

(٣) أخـرجـه مالـك (١/ ٢١٤/ ٣٠) وعنـه البخاري (١١٤٥) في التهجد باب : الدعاء والصلاة من آخر الليل . وفي غير موضع من (صحيحه) ومسلم (٧٥٨) (١٦٨) وغيرهم من حديث أبي هريرة .

النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته[١] وهم المشبهة:

ومنهم من أنكر صحة الحديث وهم الخوارج.

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً على طريق الإجمال، منزهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة، والسفيانين والحماديين والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم.

ومنهم من أوله على وجه يليق، مستعمل في كلام العرب[٢].

قال الإمام البيهقي وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد[٣]، إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه.

ومن الدليل عليه أن اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم[٤].

وقال الطوفي: المشهور عن أصحاب الإمام أحمد أنهم لا يتأولون

---

(١) الذي يحمله على ظاهره وحقيقته من غير تكييف ولا تمثيل هم أهل السنة، وأما المشبهة فهم الذين يقولون إنه ينزل كنزول المخلوق وهذا ليس ظاهر نزول الرب ولا حقيقته. (ف).

(٢) تأويله عن ظاهره اللائق بالله لا يجوز.

(٣) إن كان يريد الكيفية فهذا صحيح، وإن كان يريد المعنى فهذا غير صحيح. (ف).

(٤) فتح الباري (٣/٣) وهو منقول بتصرف وهو نفس تصرف السفاريني في (لوامع الأنوار) (١/٢٤٢ ـ ٢٤٣).

الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والإتيان والنزول والتدلي والدنو، كما لا يتأولون غيرها من الصفات متابعة للسلف.

قال: وكلام السلف في هذا الباب يدل على إثبات المعنى المتنازع فيه، قال الأوزاعي لما سئل عن حديث النزول قال: يفعل الله ما يشاء).

وقال حماد بن زيد: يدنو من خلقه كيف يشاء، وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث[١].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: وادعى المعارض أن قول النبي ﷺ: **«أن الله ينزل إلى السماء الدنيا»**. الحديث. فادعى أن الله لا ينزل بنفسه، إنما ينزل أمره ورحمته؛ وهو على العرش، وعلمه في كل مكان من غير زوال، لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول، قال: فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، لأن أمر الله ورحمته ينزلان كل وقت وأوان فما بال النبي، ﷺ، يحد لنزوله الليل دون النهار، وبوقت من الليل شطره أو الأسحار، أفأمره ورحمته يدعوان العباد إلى الاستغفار، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه، فيقولان هل من داع فاستجيب له، هل من مستغفر فاغفر له. الحديث.. الخ. كلام الدارمي - رحمه الله[٢] -.

---

(١) نقل الشارح كلام الطوفي بواسطة (لوامع الأنوار) (١/٢٤٣) فقد عزاه السفاريني للطوفي في كتابه (قواعد الاستقامة والاعتدال).

(٢) انظر: (نقض الدارمي على المريسي العنيد) (ص٢٠).

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن خزيمة (باب ذكر أخبار ثابتة السند): ورواه علماء الحجاز والعراق عن النبي، ﷺ، في نزول الرب جل وعلا، والله جل وعلا ولي نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون، ومصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر للنزول غير متكلفين القول بصفة الكيفية: إذ النبي، ﷺ، لم يصف لنا كيفية النزول، ثم ذكر الأخبار بأسانيدها(١). انتهى كلامه رحمه الله فما أعلمه من إمام.

تنبيه: الذي يلزم من قال بإثبات صفة النزول، يلزم مثله من قال بصفة الحياة، والسمع، والبصر؛ والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة له تعالى، لأنه لا يعقل من هذه الصفات إلا الأعراض التي لا تقوم إلا بجوارحنا فكما نقول نحن وإياهم حياته وسمعه وبصره ليسا أعراضاً(٢) بل هي صفات لا كما تليق بنا.

فنقول نحن أيضاً فمثل ذلك بعينه نزوله وفوقيته واستواءه على عرشه ونحو ذلك، فكل ذلك ثابت معلوم غير مكيف بكيفية ولا انتقال يليق بالمخلوق، بل هو كما أخبر هو ورسوله مما يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه، لأن ذاته وصفاته معلومة من حيث الجملة ثبوت وعلم وجود بلا كيفية ولا تحديد.

---

(١) انظر: (التوحيد) لابن خزيمة (ص١٢٥ ـ ١٢٦) وقد اختصر الشارح كلام ابن خزيمة وتصرف فيه.

(٢) لفظ العَرض لفظ محدث لا ينفى ولا يثبت حتى يفصح قائله عن المراد به فإن أراد حقا قبل وإن أراد باطلا رد. (ف).

فكـل ما ورد في الكتاب وصح عن رسول الملك الوهاب: فسبيلـه واحـد من النـزول، واليد، والقدم، والوجه، والغضب والرضاء، وغيره فاحفظ هذه القاعدة ذكره السفاريني في شرح عقيدته(١).

قال الإمام أبو الحسن في كتابه الإبانة ما نصه:

قال سيدنـا الإمـام أحمـد بن حنبـل ـ رضي الله عنـه ـ أحاديث الصفات تمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها وتخالف ما خطر في الخاطر عند سماعها، وننفي التشبيه عند ذكرها مع تصديق النبي، ﷺ، وكل ما يعقل أو يتصور فهو تكييف وتشبيه وهو محال، وهذا هو مذهب السلف، فهو الحق، وقد تقدم هذا في الباب قبله. انتهى(١).

---

(١) انظر: (لوامع الأنوار) (١/ ٢٤٧ ومابعدها) وهذا الفصل منقول من (اللوامع) باختصار وبقية البحث مفيد جدًّا.

(٢) هذا النص المنقول ليس في (الإبانة) إنما هو ما نقله الإمام ابن حمدان في (نهاية المبتـدئـين) عن الإمـام أحمـد كما أفـاد بذلـك السفـاريني في (لوامع الأنوار) (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) ولعل الشارح اختلط عليه الأمر وخاصة أن السفاريني نقل قبل هذا الكلام نصا آخر عن الأشعري في (الإبانة) والله الموفق.

فصل

في الكلام على أمر المعاد كالميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء، والقبر والسؤال، وما في معنى ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أن الناظم لما فرغ من الكلام على النزول، شرع يتكلم على بقية السمعيات بما اعتقده أهل السنة والجماعة، من أمر المعاد فقال:

وأقر بالميزان والحوض الذي
أرجو أني منه ريًا أنهل

وكذا الصراط يمد فوق جهنم
فمسلم ناج وآخر مهمل

(وأقر) بلساني واعتقد بجناني (بالميزان) الذي توزن به الأعمال يوم القيامة.

قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق.

قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال.[1]

(١) انظر (لوامع الأنوار) (٢/ ١٨٤).
وأخرج اللالكائي في (أصول الاعتقاد) (٢٢١٠) عن عبد الملك بن أبي سليمان =

قال ابن عباس: توزن الحسنات بأحسن صورة، والسيئات بأقبح صورة[١].

قال الإمام القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة تقرير الأعمال، والوزن لأظهار مقاديرها[٢].

والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع[٣]، قال الله تعالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[٤] وقال تعالى: ﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾ الآيتان[٥].

قال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ أن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش إحدىٰ كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم لو وضعت السموات والأرض في إحداهن لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده وينظر إلى لسانه[٦].

= قال: (ذكر الميزان عند الحسن فقال له لسان وكفتان).

(١) انظر (لوامع الأنوار) (٢ / ١٨٤).

(٢) التذكرة للقرطبي (ص٣٣٥).

(٣) لوامع الأنوار (٢ / ١٨٤).

(٤) الأنبياء: ٤٧.

(٥) القارعة: ٦، ٧.

(٦) هذا يحتاج إلى إثبات عن المصطفى، ﷺ، . (ف).

قال الشيخ مرعي في البهجة في هذا: أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس.

قال السفاريني: وهو كذلك ارتضاه الأئمة(١).

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: قال يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته، كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط.

وأخرج أحمد في الزهد من طريق رباح بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم، أن النبي، ﷺ، نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي، فقال: من هذا؟ قال: فلان. قال جبريل: أنا أزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله يطفىء بالدمعة بحوراً من نيران جهنم(٢).

وأخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال: قال رسول الله، ﷺ: **«ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله سائر ذلك الجسد على النار، ولا سالت قطرة على خدها فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة، ولو أن باكيا بكى في أمة من الأمم لرحموا، وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة، فإنه يطفأ بها بحار من النار»**(٣).

---

(١) لوامع الأنوار

(٢) لم أقف عليه في (الزهد) المطبوع وقد نقله الشارح عن السفاريني في (لوامع الأنوار) (٢/١٨٦).

(٣) لم تطله يدي الآن.

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله، ﷺ، أن يشفع لي يوم القيامة، قال: «**أنا فاعل إن شاء الله**»؛ قلت: فأين أطلبك. قال: «**تطلبني على الصراط**»، قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن**»(١).

تنبيـــه: قد اختلف في الموزون قيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل: توزن نفس الأعمال.

والحق أن المـوزون صحف الأعمال(٢)، وصححه ابن عبد البر،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٧٨) والترمذي (٢٤٣٣) وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».
وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».
ذكر الحافظ ابن كثير في «النهاية» (٢/٣٦): أن الحوض قبل الصراط. قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط وكذلك الميزان. وهذا لا أعلم به قائلا اللهم إلا أن يكون يراد بهذا الحوض حوضـًا آخر يكون بعد الجواز على الصراط كما جاء في بعض الأحاديث ويكون ذلك حوضـًا ثانيـًا لا يذاد عنه أحد. والله سبحانه وتعالى أعلم» اهـ.

(٢) ترجيح أن الموزون صحائف الأعمال فقط. فيه نظر: فقد جاءت أيضا أحاديث تدل على وزن الأعمال، وأحاديث تدل على وزن العامل مع عمله.
فمما يدل على وزن الأعمال: حديث أبي هريرة قال قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» رواه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤). أما ما يشهد =

والقرطبي، وصوبه الشيخ مرعي وذهب إليه جمهور المفسرين[1]، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات؛ رواه الترمذي، وحسنه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: على شرط مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ، ﷺ، قال: «**إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر» ثم يقول: «أتنكر من هذا شيئاً، أم ظلمك كتبتي الحافظون». فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة، فيقول: لا يارب، فيقول الله: بلى فلك عندنا حسنة، فإنه لاظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب،**

= على وزن العامل مع عمله حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. اقرأوا: ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا**﴾ رواه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥). ولعل الأصوب هو الجمع بين الأحاديث دون حاجة إلى تأويلها. قال ابن كثير في (تفسيره) (٣/٢٠٢) (وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم» اهـ.

وقال شارح الطحاوية (ص٤٧٥) «وثبت وزن الأعمال والفاعل وصحائف الأعمال».

(١) لوامع الأنوار (٢/١٨٧).

وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ قال: فيقول: فإنك لا تظلم، وتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

فإن قيل: ما الحكمة في الوزن! مع أن الله تعالى عالم بكل شيء، ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾(٢).

أجاب الثعلبي: أن الحكمة في ذلك تعريف الله عباده بما لهم عنده من الجزاء، من خير وشر.

وقال العلامة الشيخ مرعي بن يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ: بل الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر(٣).

﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾(٤).

وقال العلامة ابن قاضي عجلون الشافعي تلميذ ابن حجر في شرحه على عقيدة الشيباني الشافعي ما نصه:

والمقصود من ذلك تعريف العباد مقادير أعمالهم إذ لو دخلوا الدارين قبل الموازنة، ربما ظن المطيع أن نيله الدرجات في الجنة عن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وابن ماجه (٤٣٠٠) وأحمد (٢/٢١٣) وابن حبان (٢٥٢٤ موارد) والبغوي في (شرح السنة) (٤٣٢١) والحاكم (١/٦، ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٣٥).

(٢) فاطر: ١٩.

(٣) انظر: (لوامع الأنوار) (٢/١٨٨).

(٤) النساء: ٤٠.

الاستحقاق، وتوهم المعذب أن عذابه فوق ذنبه، فتوزن أعمالهم ليقفوا على مقادير أجرها، فيعلم الصالح أن ما ناله من الدرجات بفضل الله لا بمجرد عمله؛ ويتيقن المجرم أن ما ناله من العذاب دون ما ارتكب من الجرائم، فإن الله لا يظلمه، انتهى كلامه.

قلت: وهو أحسن ما قيل في حكمة الوزن، ويقرب منه قول مرعي في البهجة.

ولما فرغ الناظم من الكلام على الميزان، وإنه اعتقده السلف أخذ يتكلم على الحوض المورود الآتي ذكره في الكتاب والسنة. فقال: (والحوض) أي وأقر بحوض النبي، ﷺ، (الذي) غدا (أرجو أني منه) أي الحوض (ريا أنهل)، فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أن حوض نبينا محمد، ﷺ، ثابت بإجماع أهل الحق، وقد جاءت به الآيات، قال الله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ الخ[1].

قال العلامة الحافظ السيوطي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًّا منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وغيرهم.

وقال أيضا: وقد ورد التصريح عند الحاكم وغيره[2] بأن الحوض بعد الصراط. انتهى[3].

(١) الكوثر: ١.
(٢) انظر: التعليق رقم (١) (ص ٩٧).
(٣) في كتابه (البدور السافرة). انظر: (لوامع الأنوار) (٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

قال بعضهم: فإن قيل إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فَلِمَ يحتاجون إلى الشرب منه؟

فالجواب: بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون لأجل المظالم.

ويحتمل أن يقع الشرب قبل الصراط وبعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى إذا هذبوا ونقوا؛ أذن لهم في دخول الجنة.

قال الشيخ مرعي: وهذا في غاية التحقيق، جامع للقولين، في غاية التدقيق. انتهى.[1]

وأما الأحاديث الواردة في الحوض فكثيرة جدا بروايات متنوعة.

أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا**»[2].

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**إن الله وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب**» فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذباب، فقال رسول الله، ﷺ: «**قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً، وزادني ثلاث حثيات**»

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٨) ومسلم (٢٥٩٢).

قال: فما سعة حوضك يا رسول الله؟ قال: **كما بين عدن وعمان وأوسع وأوسع** يشير بيده؛ قال: فيه **مثعبان من الجنة**، بضم الميم من ذهب وفضة، قال: فما حوضك يا رسول الله؟ قال: «**أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا**»[1]، **والأحاديث في ذلك كثيرة جدا.**».

قلت: ومن أراد المزيد من ذلك فعليه بشرح العلامة السفاريني في شرحه على عقيدته، وشرحه أيضاً على عقيدة ابن أبي داود التي أولها: (تمسك بحبل الله واتبع الهدى، ولا تك بدعيًّا لعلك تفلح). انتهى.

ولما أنهى الكلام على الحوض، وذكر ما يجب اعتقاده فيه أعقبه بذكر الصراط، وأنه مما يجب اعتقاده عند أهل السنة والجماعة، فقال (وكذا) أي وكإقراري بالميزان أقر (بالصراط) أنه حق ثابت للأحاديث الواردة فيه، (يمد) بالبناء للمجهول، أي ينصب (فوق) ظهر جهنم، أعاذنا الله تعالى منها برحمته، فنقول وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٠) وابن حبان (٢٦٠٢ موارد) والطبراني (٨/ ١٨٧/ ٧٦٧٢) وإسناده صحيح.
ومن طريق آخر أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦) والطبراني (٧٥٢٠) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (ص٣٢٩) مختصرًا. قال الترمذي حسن غريب وإسناده صحيح كما قال الألباني في (المشكاة) (٥٥٥٦) فالحديث صحيح كما قال الألباني في (صحيح الجامع).

اعلم وفقك الله أن الصراط حق ثابت في الكتاب والسنة واتفاق الأمة، وهو في اللغة الطريق الواضح، وفي الشرع جسر ممدود على جهنم فيرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار.

أخرج البخاري والإسماعيلي واللفظ له عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي، ﷺ، في هذه الآية: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾**(١) قال **«يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا»**(٢).

قال قتادة: كان يقال ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم(٣).

قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين: أما من دخلها ثم أخرج فإنهم لا يحبسون، بل إذا أخرجوا بثوا على أنهار الجنة(٤).

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠)، (٦٥٣٥) وأحمد (٣/٥٧، ٦٣، ٧٤) وقد أشار الحافظ في (الفتح) (١١/٣٩٨) لرواية الإسماعيلي.

(٣) قول قتادة هذا عزاه الحافظ في (الفتح) (١١/٣٩٩) للإسماعيلي.

(٤) انظر (لوامع الأنوار) (١/١٩٠).

قال الحافظ ابن حجر على قوله يخلص المؤمنون من النار أي: ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط عنها[١].

قال العلماء: (الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وأظلم من الليل)[٢].

وقد أخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف، مدحضة ـ أي مزلقة ـ لا يثبت عليه القدم بل تزل عنه إلا من ثبته الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها، ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذي لا ينشب أن ينجو، ومنهم من شده كالريح وكالفرس الجواد وكهرولة الرجل، الحديث[٣].

---

(١) فتح الباري (١١/٣٩٩) والذي فيه (أي نجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط).

(٢) الذي في شرح السفارينية: بدل قوله: (وأظلم من الليل، وأحمى من الجمرة) (لوامع الأنوار) (٢/١٩٠).

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٩/٢٣٠/٨٩٩٢) وفيه محمد بن فضل السدوسي كان قد اختلط: فتحسين الإسناد متوقف على سماع علي بن عبد العزيز البغوي منه هل هو بعد الاختلاط أم قبله فعلى قول أبي داود يكون بعد الاختلاط فالسند ضعيف وعلى قول أبي حاتم فسماعه منه كان قبل الاختلاط فالإسناد حسن والله أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله، ﷺ: «**لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكردس[1] في النار على وجهه**»[2].

وأخرج البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**الصراط كحد السيف وأن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وأن جبريل لآخذ بحجزتي وأني لأقول رب سلم سلم، فالزالون والزالات يومئذ كثير**»[3].

وفي بعض الآثار: إن طول الصراط مسيرة ثلاث آلاف سنة ألف منها صعود، وألف منها هبوط، وألف منها استواء[4].

وقد أخرج الإمام عبد الله بن المبارك، وابن أبي الدنيا عن سعيد ابن أبي هلال، قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض

---

(١) المكردس: هو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي في موضع.

(٢) أخرجه أحمد (٦/١١٧) ورجاله ثقات. ابن لهيعة فيه ضعف والراوي عنه هو يحيى بن إسحاق السيلحيني قال الحافظ «وهو من قدماء أصحاب ابن لهيعة كما في ترجمة حفص بن هشام بن عقبة من «التهذيب» (٢/٤٢٠).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١١/٤٥٤) «في سنده لين».

(٤) ذكره الحافظ في (الفتح) (١١/٤٥٤) عن الفضيل بن عياض بلغنا أن الصراط. . . .» وقال أخرجه ابن عساكر في ترجمته وهذا معضل لا يثبت».

الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع(١).

وأما معنى قول الناظم في قوله: (فمسلم) بتشديد اللام المفتوحة، أي فالناس في الجواز على الصراط نوعان:

الأول ما أشار إليه المصنف بقوله (فمسلم) يعني (ناج) برحمة أرحم الراحمين من مزلة الصراط، والنوع الآخر (مهمل) أي مكردس في النار.

والأصل في هذا البيت حديث أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله، ﷺ: «**لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، والناس فيه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكردس في النار على وجهه**»(٢) والأحاديث في ذلك كثيرة معلومة.

---

(١) قال الحافظ في (الفتح) (١١/٤٥٤) (وهو مرسل أو معضل).

(٢) مر تخريجه.

فصـــل

في الكلام على الجنة والنار وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء فنقول وبالله التوفيق:

لما أنهى المصنف الكـلام على الميزان والحـوض والصراط، أخذ يتكلم على الجنة والنار.

وإليه الإشارة بقوله:

والنـــار يصلاهـــا الشقـــي بحكمـــة

وكــذا التقـــي إلـى الجنـان سيدخـل

والنار نعوذ بالله منها وهي دار البوار ومقر الكفار.

فالنار تشتمل على سبع طبقات، جهنم، فلظى، ثم الحطمة ثم السعـير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ثم سقر، وباب كل واحدة من داخل الأخرى، كما قاله ابن عطية وغيره.

(يصلاها) أي النار (الشقي) وهو الذي كتبت عليه الشقاوة وهو في بطن أمه، (بحكمة) أحكم الحاكمين، فيدخلها بعمله السيىء.

ثم قال: (وكذا التقي) أي الذي جمع معاني التقوى..

وحقيقـة التقوى اتباع الأوامر واجتناب المناهي، وهي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

ومن جمع معاني التقوى فهو بلا شك صائر إلى الجنة، وإليه الإشارة بقوله: (إلى الجنان) المعدة للمتقين (سيدخل) أي الجنة برحمة أرحم الراحمين فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب، واعتقاده حق لازم، والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب.

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة ما نصه:

فإنه اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي، ﷺ، بذلك، كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار يقال: هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(١).

وفي السنن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها**» الحديث(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) والنسائي (٣/٧) والترمذي (٢٥٦٨) وقال حسن صحيح وأحمد (٢/٣٣٢، ٣٥٤) والحاكم (١/٢٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي إنما هو حسن فقط لأن محمد بن عمرو فيه كلام يسير من قبل حفظه ولم يخرج له مسلم إلا متابعة والحديث حسن إسناده الألباني في (المشكاة) (٥٦٩٦) وصححه في صحيح الجامع (٥٠٨٦) وتخريج الطحاوية (ص٤٦٨).

وفي الصحيحين في حديث الإسراء، **«ثم أدخلت الجنة. فإذا فيها جنابذ[١] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»**[٢].

وفي صحيح البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«بينا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قال: قلب ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك»** الحديث[٣].

وفي صحيح مسلم في حديث صلاة الكسوف أن النبي، ﷺ، جعل يتقدم ويتأخر في الصلاة ثم أقبل على أصحابه فقال: **«إنه عرضت علي الجنة والنار فقربت مني حتى لو تناولت منها قطفاً[٤] فأخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»**[٥].

---

(١) (جنابذ) هي القباب. واحدتها جُنبُذة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) من حديث أنس في قصة الإسراء.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٤) والقطف العنقود وهو فعل بمعنى مفعول كالذبيح بمعنى مذبوح.

(٥) اللفظ المذكور ذكر بإدخال حديث ابن عباس في حديث جابر مع روايتهما بالمعنى أما حديث ابن عباس فأخرجه البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) وفيه: (قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك كففت فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا» واللفظ لمسلم (وكففت) أي: توقفت.

وعند البخاري (كعكعت) ومعناه: تأخرت.

أما حديث جابر عند مسلم (٩٠٤) (٩) ثم قال: «أنه عرض علي كل شيء تولجونه فعرضت علي الجنة. حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته أو قال تناولت =

وفي الصحيح من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ، ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش**»(١)، الحديث. اهـ(٢).

فكل مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعاً لم يحكم الشرع بكفره وهو حينئذ عاص لربه متعد لحدوده، ولو كان ذنبه بارتكاب أكبر الكبائر(٣)، ومات على الإيمان وهو غير تائب ولم يحكم عليه بكفر لم يكفر ولم يخلد في النار، خلافاً للمعتزلة والخوارج، وقد انعقد الإجماع على أنه لا يخلد في النار، إلا الكفار، بخلاف العاصي، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه ولم يعذبه، وإن شاء عذبه ثم يخرجه.

وأما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة كما تقدم وهو مذهب باطل مخالف لدلائل الكتاب والسنة، وأهل الحق على خلافه.

= منها قطفًا فقصرت يدي عنه وعرضت علي النار. . .».

وأخرجه مسلم من طريق آخر وفيه (لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت. . . .» «ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت. . .».

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦٥ ـ ٢٦٦) وأبو داود (٢٥٢٠) وابن هشام في السيرة (٢/١١٩) والحاكم (٢/٨٨، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي وهو صحيح بشواهده انظر (صحيح الجامع) (٥٠٨١) ومن هنا يتبين خطأ العزو للصحيح.

(٢) مفتاح دار السعادة (ص٢٩ ـ ٢٠).

(٣) يعني التي دون الشرك. (ف).

تنبيه[١]: اعلم أن للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه.

وهكذا أسماء الرب وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النار، أعاذنا الله منها.

فالاسم العام، الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذات والبهجة والسرور، وقرة العين واشتقاقها من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه، وكذا الجن لاستتارهم في الأرض[٢].

والجنة بالضم ما يستجن به[٣]، ومنه الحديث: «**الصوم جنة**»[٤].

وفي رواية: «**جنة أحدكم من النار... الحديث**»[٥].

وقد ذكر الله تعالى: في كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الإيمان،

---

(١) مستفاد من (لوامع الأنوار) (٢/٢٢٥ ـ ٢٣٠).

(٢) الأولى أن يقال: (لاستتارهم عن العيون) كما في لوامع الأنوار.

(٣) من ترس أو غيره.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) (١٦٢)(١٦٣) من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة....» وفي الباب أحاديث أخرى.

(٥) أشار الحافظ في (الفتح) (٤/١٠٤) أن سعيد بن منصور زاد في حديث أبي هريرة السابق «جنة من النار» وأخرج النسائي (٤/١٦٩) من حديث عائشة مثله وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٣٧٧٢).

والتقوى كقوله تعالى في الجنة: ﴿أعدت للمتقين﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾[(٢)]: وهذا في القرآن كثير.

ومداره على ثلاث قواعد: إيمان؛ وتقوى، وعمل خالص لله تعالى، على موافقة السنة.

فأهل هذه الثلاثة هم الأبرار. وهم أهل البشرى دون من عداهم.

وهي تجتمع في أصلين إخلاص في طاعة الله تعالى، وإحسان إلى خلقه.

وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب في محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسوله محمد، ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[(٣)]، وبين هاتين الشعبتين اللتين مرجعهما إلى: تصديق الرسول في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً، واجتناب ما نهى عنه تحريماً وكراهة.

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله،

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) النازعات: ٤٠، ٤١.

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) واللفظ له.

ﷺ: **«حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»**. أخرجه البخاري ومسلم[(١)]. وفي رواية لمسلم حفت[(٢)] بدل حجبت.

وقد ثبت أن مفتاح الجنة كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وقد أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»**[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع[(٤)].

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين يعني في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾»**[(٥)]. رواه البخاري ومسلم وغيرهما[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) ووقع عنده (حجبت) قال الحافظ في (الفتح) (١١/ ٣٢٠) «كذا للجميع ـ أي رواه البخاري ـ في الموضعين إلا الفروي فقال: (حفت) في الموضعين» وكذا أخرجه مسلم (٢٨٢٣).

(٢) كذا أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٢) من حديث معاذ. وإسناده ضعيف منقطع شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ كما قال البزار وشهر لابأس به في الشواهد وبعضهم يحسن حديثه وفيه أيضا إسماعيل بن عياش الحمصي ضعيف في روايته عن غير الشاميين وقد روى هنا عن راوٍ مكي.

(٤) يعني كتابه (كلمة الإخلاص) (ص١٤) وقد اكتفى بإعلاله بالانقطاع.

(٥) السجدة: ١٧.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك(٢).

وأما النار المعدة للكافرين، أعاذنا الله تعالى منها فهي مأوى الكفار جميعهم سواء كان كفرهم بالشرك أو الجحود؛ أو إنكار النبوة، أو إنكار أحد من الأنبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو إنكار المعاد الجسماني، أو جحود ما علم مجيء النبي، ﷺ، به بالضرورة، أو جحود الكتب المنزلة أو شيئاً منها، أو ملكاً من الملائكة أو انتقاص مُلْكِ مَلَكٍ أو نبي أو نحو ذلك، فالجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة بإجماع أهل الحق، وأما أهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم خالدون، لا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع فعذابهم متواصل في دار الهوان جزاءً بما كانوا يكفرون، قال تعالى: **﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه**

---

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في أول كتاب الجنائز وصله البخاري في (التاريخ) (١/١/٩٥) وأبو نعيم في (الحلية) (٤/٦٦) والبيهقي في (الاسماء والصفات) (ص١٠٩) من طريق محمد بن سعيد بن رمانة قال أخبرني أبي قال قيل لوهب. . . .

قال الشيخ الألباني في (مختصر صحيح البخاري) (١/٩٢). محمد بن سعيد هذا يمني مجهول الحال. وأبو سعيد بن رمانة لم أجد له ترجمة».

مبلسون﴾[١] والآيات والأحاديث في مثل هذا كثيرة جدا.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، أمر بلال ينادي في الناس أنه: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»[٢] وفي لفظ مؤمنة[٣].

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله ما ثمن الجنة، قال: «**لا إله إلا الله**»[٤].

قال الإمام المحقق ابن القيم وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا[٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**»، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي، ﷺ:

---

(١) الزخرف: ٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٣)، (٦٦٠٦) ولفظه (إلا مؤمن).

(٤) أخرجه أبو نعيم في (صفة الجنة) (٥١) وإسناده ضعيف جدًّا. وأخرجه ابن عدي في (الكامل) (٦/٢٣٤٧) من طريق آخر ضعيف أيضا والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦١٥).

(٥) في كتابه (حادي الأرواح) (ص٨٤): وكلامه صحيح إذا أراد عمومات الأدلة أما إذا أراد الشاهد الاصطلاحي ففيه نظر فالمراد تضعيف لفظ بخصوصه.

«من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(١).

وفي صحيح مسلم عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة»**(٢).

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**(٣).

وفي الصحيحين عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«أتاني آت من ربي فأخبرني؛ أو قال: بشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة: قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق»**(٤).

وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: **«إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**(٥).

وفي هذا أحاديث تزيد على حد التواتر(٦). تدل على وجود الجنة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧). ومسلم (١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦) وأحمد (١/٦٥، ٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٥/٢٣٣) والحاكم (١/٣٥١) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في (الإرواء) (٦٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٤) وفي غير موضع ومسلم (٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٥) (١١٨٦) ومسلم (٣٣).

(٦) انظر (لوامع الأنوار) (٢/٢٣٠).

والنار فهما موجودتان الآن.

قال العلامة ابن القيم في حادي الأرواح: لم يزل أصحاب رسول الله، ﷺ، والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك، وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة. وبما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكروا أن تكون الجنة والنار الآن مخلوقتين. وقالوا بل الله ينشئهما يوم القيامة إلى آخر كلامه فيهما.

قال ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان يعني الآن.

ويذكر من صنف في المقالات، أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها، منهم الإمام أبو الحسن الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان[١]، ولقد رأى النبي، ﷺ، سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة، كما في الصحيحين[٢] من حديث أنس رضي الله عنه، فذكر عدة أحاديث[٣].

وفي الترمذي في جامعه من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في**

---

(١) المقالات (١/ ٣٤٩).

(٢) قد مر تخريجه

(٣) انظر حادي الأرواح (ص١١، ١٦).

الجنة»، قال هذا حديث حسن صحيح[١].

قالوا فلو لم تكن الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى[٢]، وأصرح من هذا، قول النبي، ﷺ: **«من بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنة»** متفق عليه[٣].

وحديث: **«إذا قبض الله روح ولد العبد؛ قال للملائكة: ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»**[٤].

ثم قال[٥]: وفي مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم، والسنن من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: **«لما خلق الله الجنة، أرسل جبريل إلى الجنة، قال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال:**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٥) وغيره وقال حسن صحيح وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه وله شاهد من حديث معاذ بن أنس أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠) قواه به الشيخ الألباني في الصحيحة (٦٤).

(٢) انظر حادي الأرواح (ص٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٢١) وغيره من حديث أبي موسى وقال: (حسن غريب) وفيه مجهول، وله طريق آخر أخرجه الثقفي في (الثعفيات) (٣/ ١٥/ ٢) بهما حسنه الشيخ الألباني في (الصحيحة) (١٤٠٨).

(٥) أي الإمام ابن القيم في (حادي الأرواح) (ص١٩).

ارجع فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد؛ ثم أرسله إلى النار، فنظر إليها، يركب بعضها بعضاً، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فلما حفت بالشهوات، قال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[١].

ودخوله، ﷺ، الجنة ورؤيته نهر الكوثر؛ وقصور الجنة وحورها، وأضعاف أضعاف ما ذكرنا من الأدلة القطعية على تلك المسألة. انتهى[٢].

وقال ابن القيم في كتابه حادي الأرواح[٣]:

وأما أبدية الجنة والنار[٤]، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان فمما يعلم بالاضطرار أن رسول الله، ﷺ، أخبر به، قال الله تعالى: ﴿وأما

---

(١) مر تخريجه (ص١٠٨) تعليق رقم (٢). وقد أخطأ الإمام ابن القيم في عزوه للحديث لصحيح مسلم.

(٢) انظر لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٢).

(٣) حادي الأرواح (ص٣٣٧) ولا ذكر للنار في كلام ابن القيم إنما قال: «وأما أبدية الجنة وأنها لا تفنى . . . .» فذكر النار تصرف من الشارح.
قال ابن القيم (ص٣٤٤) «وإنما أبدية النار ودوامها فقال فيها. . . .».

(٤) قال ابن حزم في (مراتب الإجماع) (ص١٧٣).
اتفقوا: أن الجنة حق وأنها دار نعيم أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية».
وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية».

الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ الآية(١).

ومما يدل على وجود النار الآن، قوله تعالى: **﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيا﴾** الآية(٢).

كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٣).

قلت: وفيه دلالة واضحة قاطعة على وجود الجنة والنار، ويؤيده قوله تعالى: **﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيا﴾**(٤) اهـ.

---

(١) هود: ١٠٨.
(٢) غافر: ٤٦.
(٣) مر تخريجه.
(٤) غافر: ٤٦.

تتمـة

فـي ذكـر مكـان الجنـة والنار وأين هما على مقتضـى الآثـار (١)

اعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن، كما قال جل شأنه في محكم القرآن: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى**﴾(٢).

وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، قال تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾(٣) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو الجنة.

وروى أبو نعيم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. أنه قال: الجنة في السماء السابعة(٤).

---

(١) هذه التتمة مستفادة من (لوامع الأنوار) (٢/٢٣٧) وهي مختصرة عن (حادي الأرواح((ص٦٣).

(٢) النجم: ١٣ إلى ١٥.

(٣) الذاريات: ٢٢.

(٤) أخرجه أبو نعيم في (صفة الجنة) (٣٢) وتمامه (ويجعلها حيث شاء يوم القيامة =

وفي الصحيحين أنه، ﷺ، قال: «**الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»(١)، وهذا يدل على أن الجنة في غاية العلو والارتفاع.

وقال ابن القيم أيضاً: في كتابه (صفة الجنة) المسمى بـ (حادي الأرواح)(٢)، ما نصه:

والجنة مقببة أعلاها أوسعها، ووسطها هو الفردوس، وسقفها العرش، كما قال النبي، ﷺ، في الحديث الصحيح، إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة(٣).

وفي الحديث: «**يقال لقارىء القرآن، اقرأ، وارق، ورتل، كما كنت ترتل**» الحديث.

= وجهنم في الأرض السابعة) وإسناده ضعيف جدًّا. فيه عطية العوفي قال الحافظ في (التقريب) (صدوق يخطىء كثيرًا كان شيعيًّا مدلسًا) ومحمد بن عبيد الله العزرمي قال في (التقريب) متروك.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)، (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة وفيه (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. . . . .».

وأخرجه مسلم (١٨٨٤) من حديث أبي سعيد وفيه: «ثم قال وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يارسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله».

(٢) حادي الأرواح (ص٦٥).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٢٧٩٠) (٧٤٢٣).

وفي آخره، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها(١).

قال العلامة السفاريني ما نصه(٢): وهذا يحتمل شيئين: إما أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وإما أن تكون عند آخر تلاوته المحفوظة. انتهى.

وأخرج جويبر في تفسيره(٣)، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، قال: سئل رسول الله، ﷺ، من أين يجاء بجهنم يوم القيامة؟ قال: **«يجاء بها من الأرض السابعة، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، تصيح إلى أهلي، فإذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت، فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه، يقول: رب نفسي نفسي»، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به»**.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/١٩٢) وأبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٥) وابن حبان (١٧٩٠ موارد) والحاكم (١/٥٥٢، ٥٥٣) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٧٩٧٨).

(٢) هذا القول في الحقيقة نص كلام ابن القيم في (حادي الأرواح) (ص٦٥) ولما كان الشارح كثير النقل عن السفاريني دون الرجوع إلى الأصول التي نقل عنها ظن أن هذا هو قول السفاريني.

(٣) جُويبر: راوي التفسير ضعيف جدًا كما قال الحافظ في (التقريب).

فصـــل

في الكلام على القبر وعذابه ونعيمه وسؤال الملكين اللذين يسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه، ﷺ، فنقول، وبالله التوفيق:

لما أنهى الناظم الكلام على الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان، أخذ يتكلم على القبر، وعذابه، وإليه الإشارة بقوله:

ولكـــل حـــي عاقـــل فـــي قبـــره
عمـــل يقارنـــه هنـــاك ويســـأل

(ولكل حي عاقل) أي مكلف في قبره، أي ضريحه الذي يدفن فيه[1]، وسيبعث منه للدلائل القطعية، قوله: (عمل) بالتنوين مبتدأ مؤخر، أي عمل صالح أو ضده (يقارنه) أي يجده عنده من خير أو شر، (هناك) أي في قبره، وأتى بالكاف المفيدة للبعيد، فكأن الناظم يشير إلى حديث رواه[2] القرطبي في التذكرة، وهو حديث البراء بن

(١) وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا وإلا فعذاب القبر يصل إلى من يستحقه سواء دفن أو أكلته السباع أو تمزق في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وكذا النعيم يصل إليه على كل حال.

(٢) الصواب أن يقال (ذكره القرطبي) لأن قولهم (رواه فلان) معناه عند العلماء بإسناده انظر التذكرة (ص١٢٣) باب ذكر حديث البراء المشهور.

عازب ـ رضي الله عنه ـ، الطويل المشهور فيه ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد الله لك، وبالعكس بالذي يسوءك وفيه فيأتيه ملكان»[١]، وإليه الإشارة بقوله: (ويسأل).

اعلم وفقك الله تعالى، أن الإيمان بذلك واجب شرعاً لثبوته عن النبي، ﷺ، في عدة أحاديث، يبلغ مجموعها حد التواتر، وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[٢] الآية.

واستدل أهل السنة والجماعة، على هذه المسألة؛ بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

منها ما أخرجه الشيخان[٣]، من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه، عن النبي، ﷺ، لما نزلت قوله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ الآية[٤]. قال: «**نزلت في عذاب القبر**». زاد مسلم[٥]: «**فيقال له، من ربك؟ فيقول ـ يعني المؤمن ـ: الله ربي، ونبيي محمد فذاك قوله: ﴿يثبت الله**

---

(١) سيأتي تخريجه.
(٢) إبراهيم: ٢٧.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٩) (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) (٧٤).
(٤) إبراهيم: ٢٧.
(٥) مسلم (٢٨٧١) (٧٣).

الذين آمنوا بالقول الثابت﴾»[١].

وفي رواية للبخاري[٢] «إذا أقعد المؤمن في قبره ثم شهد أن: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[٣].

وفي الطبراني عن البراء بن عازب مرفوعاً، «فيقال للكافر من ربك؟ فيقول: لا أدري. فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا» الحديث[٤]: .

وعند أبي داود: «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك، فيقول يعني المؤمن: ربي الله، فيقولان له: ما دينك، فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: وما يدريك، فيقول: قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة والبسوه من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره، وقال في الكافر ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول: هاه هاه لا أدري» الحديث إلى أن قال: «فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) البخاري (٤٦٩٩).

(٣) إبراهيم: ٢٧.

(٤) لم تطله يدي الآن

إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»[١].

وروي أيضاً من -[٢]يث أبي سعيد أخرجه الإمام أحمد[١].

ومن حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. أخرجه أبوبكر الخلال في كتاب السنة: وفيه أنه، ﷺ، قال له: **«كيف أنت يا عمر إذ كنت من الأرض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً، قلت: يا رسول الله وما منكر ونكير، قال: فتانا القبر يبحثان الأرض بأنيابهما ويطآن بأشعارهما أصواتهما كالرعد**

---

(١) حديث البراء بن عازب هذا: أخرجه أبوداود (٤٧٥٣) وأحمد (٤/٢٨٧، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) والحاكم (١/٣٧) وغيرهم وقد صححه جمع من العلماء منهم الحاكم ووافقه الذهبي والبيهقي في (عذاب القبر) (ص٣٩). وابن تيمية في (شرح حديث النزول) (ص٨٧، ٨٩)، وابن القيم في (إعلام الموقعين) (١/١٧٨) و(تهذيب السنن) (٤/٣٣٧) ونقلا تصحيح أبي نعيم وابن مندة وحسنه المنذري في (الترغيب) (٤/١٨٦) وقال القرطبي في (التذكرة) (ص١٢٣) (وهو حديث صحيح) وصححه الألباني في (أحكام الجنائز) (ص١٥٩) وساقه سياقًا واحدًا. فراجعه إن شئت.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٣) ومن طريقه البيهقي في (عذاب القبر) (٤١) والبزار (٨٧٢ كشف الأستار) وقال الهيثمي في (المجمع) (٣/٤٨) (ورجاله رجال الصحيح).

قلت: فيه أبو عامر الخزاز واسمه صالح بن رستم فيه ضعف من قبل حفظه كما يشير إلى ذلك قول الحافظ في (التقريب) «صدوق كثير الخطأ». ثم هو ممن لم يحتج به البخاري وإنما روى له تعليقًا.

القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه، قلت: يا رسول الله، وأنا على حالي هذه؟ قال: نعم، قال: إذا أكفيكهما».

وفي رواية: «فامتحناك فإن التويت ضرباك ضربة صرت بها رماداً»(١).

---

(١) قال ابن رجب في (أهوال القبور) (ص٢٠) بعد أن عزاه للخلال (وفي إسناده ضعف وخرجه الإسماعيلي من وجه آخر فيه ضعف أيضا عن عمر عن النبي ﷺ».

فقصة عمر مع فتان القبر رويت من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وعطاء بن يسار وعمرو بن دينار مرسلاً:

١ - حديث عمر:

أخرجه ابن أبي داود في (البعث) (٧) ومن طريقه الذهبي في (الميزان) (٤/١٦٧ - ١٦٨) والبيهقي في (الاعتقاد) (ص٢٢٢ - ٢٢٣) و(عذاب القبر) (١١٨): وإسناده واه ووصفه الذهبي في (الميزان) (٤/٥٣٧) بأنه (خبر منكر).

٢ - حديث جابر:

رواه الثقفي في (الأربعين) (٨): وإسناده ضعيف.

٣ - حديث ابن عباس:

رواه البيهقي في (عذاب القبر) (١١٧) وفيه الواقدي وهو متروك وقد كذبه الإمام أحمد والنسائي وابن عدي وغيرهم.

٤ - حديث أبي هريرة:

رواه الطبراني في (الأوسط) كما في (المجمع) (٣/٥٣-٥٤) وقال الهيثمي (وفيه ابن لهيعة وفيه كلام).

وفي حديث رواه أحمد: «**أن الملكين اسمهما منكر ونكير**» بفتح الكاف(١).

= **٥ ـ حديث عطاء بن يسار:**

أخرجه الآجري في (الشريعة) (ص٣٦٦ ـ ٣٦٧) والبيهقي في (عذاب القبر) (١١٦) «ورجاله ثقات مع إرساله» كما قال العراقي في (تخريج الإحياء) (٥٠٣/٤).

٦ ـ حديث عمرو بن دينار:

أخرجه عبد الرزاق في (مصنفه) (٦٧٣٨) ويحتمل أن يكون عمرو بن دينار تلقاه عن عطاء بن يسار فيعود المرسل إلى طريق واحد فقد ذكر في (تهذيب الكمال) (١٠٣٢/٢) و(التهذيب) (٢٩/٨)، (٢١٨/٧) أن عمرو بن دينار روى عن عطاء بن يسار.

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١) وابن أبي عاصم في (السنة) (٨٦٤) والآجري في (الشريعة) (ص٣٦٥) من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير...» الحديث. وقال الترمذي (حسن غريب) وحسنه الألباني في (الصحيحة) (١٣٩١). وفيه رد على من أنكر تسمية الملكين بـ (المنكر) و(النكير).

تتمـــة

الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم حسبما أخبر به النبي ﷺ ولدلائل الكتاب والسنة.

قال: ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**فإن له معيشة ضنكا**﴾ قال: المعيشة الضنك هي عذاب القبر[١].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد تواترت الأحاديث في عذاب القبر[٢].

ففي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: سألت رسول الله، ﷺ، عن عذاب القبر قال: «**نعم عذاب القبر حق**»[٣].

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في (السنة) (١٣٥٧) والبيهقي في (إثبات عذاب القبر) (٧٥) وعزاه السيوطي في (الدر المنثور) (٣١١/٤) إلى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أهوال القبور (ص٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٢) ومسلم (٥٨٦) (١٢٦).

رسول الله، ﷺ، يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**»(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات: وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»(٢).

وأخرج مسلم أيضاً، وابن أبي شيبة. وفيه فقال رسول الله، ﷺ: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر فإن هذه الأمة تبتلى في قبورها**» الحديث(٣).

وفي حديث الكسوف: «**فبي تفتنون وعني تسألون**»(٤)، أو كما قال عليه السلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) (١٣١) وتمامه (... ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) (٦٧) وابن أبي شيبة (٣/٣٧٣) وأحمد (٥/١٩٠) وابن أبي عاصم في السنة من حديث زيد بن ثابت.

(٤) أخرجه أحمد (٦/١٣٩ ـ ١٤٠) والبيهقي في (عذاب القبر) (٣٧، ٣٨) من حديث عائشة بإسناد صحيح وفيه (فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون) وليس هي في حديث الكسوف وإنما وقع في حديث الكسوف عن أسماء الذي أخرجه البخاري (١٠٥٣) ومسلم (٩٠٥) (وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبًا أو مثل فتنة المسيح الدجال).

وفي الحديث الصحيح «**إذا مات العبد عرض عليه مقعده من الجنة أو النار**»[١]، والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا.

قال الحافظ الحجة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي رحمه الله تعالى في نظمه المسمى بالتبصرة ما نصه:

أحاديث القبر، وعذابه، وسؤال الملكين بلغت نحواً من تسعين حديثاً.

وقد تقدم قول الإمام السيوطي أن أحاديثه بلغت حد التواتر.

قلت فلعله ما ذكره في التبصرة. انتهى.

وقد ورد أحاديث تنجي من عذاب القبر صحاح وحسان.

منها ما جاء في الحديث أن سورة من القرآن ثلاثون آية تنجي قارئها يوم القيامة.

وفي رواية تنجيه من عذاب القبر.

وفي حديث آخر شفعت لرجل حتى غفر له[٢]، ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (١٣٧٩) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٠٠) والترمذي (٢٨٩١) وحسنه وابن ماجه (٣٧٨٦) والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (٧١٥) وصححه ابن حبان (١٧٦٦ موارد) والحاكم (١/٥٦٥) ووافقه الذهبي وحسن إسناده البيهقي في (إثبات عذاب القبر) (١٦٦، ١٦٧) والألباني في (المشكاة) (١/٦٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) الملك: ١.

وفي الحديث من قرأ كل ليلة: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ إلا أنجاه الله من عذاب القبر، وتسمى يعني تبارك المنجية والمانعة، تنجي وتمنع صاحبها من عذاب القبر كما في الحديث[1]. وفيها أحاديث كثيرة. فليعلم ذلك كله. والله أعلم.

(١) أخرجه أبو الشيخ في (طبقات الأصبهانيين) (٢٦٤) مرفوعًا من حديث ابن مسعود بلفظ (سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر) بإسناد حسن وأخرجه الحاكم (٢/٤٩٨) والبيهقي في (إثبات عذاب القبر) (١٦٤) موقوفًا أتم من المرفوع وفيه (من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب). وإسناده حسن وهو في حكم الرفع.
انظر الصحيحة للألباني (١١٤٠). وله شاهد عند الترمذي (٢٨٩٠) من حديث ابن عباس وآخر من حديث أنس عند الطبراني في (الصغير) (١/١٧٦) وبالجملة فالحديث صحيح بهذه الشواهد.

تنبيـــه

اعلم وفقك الله تعالى أن الناظم رحمه الله تعالى قد أهمل الشفاعة وهي من أهم العقائد الدينية والأصول الإيمانية، وهي ثلاثة فصول: فنقول وبالله التوفيق:

اعلم وفقك الله تعالى أن الشفاعة لغة هي: الوسيلة؛ والطلب. وعرفاً: سؤال الخير للغير. كذا عرفها بعضهم.

واعلم أيضاً، أن للنبي، ﷺ، ثلاث شفاعات:

الأولى: الشفـاعـة العظمى التي يشفع فيها لأهل الموقف حتى يقضي بينهم، بعـد أن يتـدافعها الأنبياء أهل الشرائع؛ آدم، ونوح وإبـراهيم، ومـوسى، وعيسى، على نبينـا وعليهم أفضـل الصلاة والسلام، وهي المقام المحمود، وقد ورد من حديث الصديق ـ رضي الله عنه ـ، وأنس، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفة، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. فهؤلاء ورد أمر الشفاعة في أحاديثهم مطولا.

وورد أيضاً مختصراً من حديث أبي بن كعب، وعبادة بن الصامت،

وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن سلام، وغيرهم - رضي الله عنهم[١] -.

أخرج الإمام أحمد؛ والبخاري، ومسلم؛ وغيرهم من حديث أنس ابن مالك - رضي الله عنه -، أن النبي، ﷺ، قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة؛ فيلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيريحنا من مقامنا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، فيذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي ربه من ذلك، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، وسؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر النفس التي قتل بغير حق، فيستحي ربه، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأقوم وأمشي بين سماطين من المؤمنين، فاستأذن على ربي، فإذا رأيت ربي

---

(١) وقد جمع هذه الأحاديث كلها وتكلم عليها مقبل بن هادي في كتابه (الشفاعة) فليراجع. ويراجع أيضا كتاب السنة لابن أبي عاصم (الأحاديث ٧٨٤-٨٣٢).

وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد قل ليسمع واشفع تشفع، واسأل تعطى، فأرفع رأسي وأحمده بتحميد، ثم اشفع»، الحديث بطوله(١).

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وخطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، ومبشرهم إذا أيسوا، لواء الكرم بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون»(٢).

وعند البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ، قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذاك! يجمع الله الأولين والآخرين، في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما قد بلغكم، ألا ترون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول الناس بعضهم لبعض أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣) وأحمد (٣/١١٦، ٢٤٤، ٢٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) والدارمي في سننه (١/٣٠) وغيرهما وقال الألباني في تخريج (المشكاة) (٥٧٦٥) إسناده ضعيف.

وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، وما قد بلغنا، فيقول إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيحيلهم إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، وعيسى يقول اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد فيأتوني، فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد بعدي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر. أو كما بين مكة وبصرى»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) وأحمد (٢/٤٢٥) والترمذي (٢٤٣٦).

فصل

الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد، ﷺ، من بين سائر الأنبياء عليهم السلام هي المرادة بقوله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي»(١). وهذه الشفاعة لأهل الموقف إنما هي لأجل حسابهم، ويراحوا من الموقف. قاله الإمام القرطبي في تذكرته(٢). والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري (٤٣٠٥) ومسلم (٢٠٠) من حديث أنس وأخرجه مسلم (٢٠١) وأحمد (٣/٨٤) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) التذكرة (ص٢٦٣) وانظر (لوامع الأنوار) (٢/٢٠٧).

فصــــل[١]

شفـاعة النبي ، ﷺ، نوع من السمعيات، قد وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها إجماع أهل الحق قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعة، لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر إذ هي للإراحة من طول الوقوف:

وأمـا شفاعة الرسل والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين فإنهم يشفعون يوم القيامة.

وورد أن القرآن يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه[٢].

وورد أيضا أن سورة شفعت لرجل وتقدم[٣]:

والحاصل أنه يجب أن يعتقد أن غير النبي ، ﷺ، من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء والعلماء

---

(١) هذا الفصل مستفاد من (لوامع الأنوار) (٢/٢٠٨ ـ ٢١٥) بتصرف.

(٢) أخرج مسلم (٨٠٤) وأحمد (٥/٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧) وغيرهما من حديث أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن. فإنه يأتي يوم القيامة شفيعـًا لأصحابه».

(٣) مر تخريجه (ص١٣٢).

على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك فيجب تصديقه، والقول بموجبه لثبوت الدليل.

فقد قال، ﷺ: «**أنا أول شافع وأول مشفع**» من حديث أبي هريرة. أخرجه مسلم(١).

وأما حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، عند البيهقي، قال: يشفع نبيكم رابع أربعة، جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم لا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه نبيكم، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء.

والمشهور أنه، ﷺ، أول شافع وأول مشفع قاله البخاري وغيره من أئمة الحفاظ(٢):

وأخرج الطبراني في الكبير، والبيهقي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**ليدخلن الجنة قوم من المسلمين**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨) ولفظه (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من يشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع).

(٢) حديث ابن مسعود أخرجه الحاكم (٤/٤٩٦) وأعاده (ص٥٩٨) والطبراني في (الكبير) (٩/٤١٣/٩٧٦١) والعقيلي في (الضعفاء) (٢/٣١٤) وغيرهم وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في الموضع الأول وتعقبه في الثاني فقال قلت: ما احتجا بأبي الزعراء» وقد ضعف هذا الحديث البخاري وغيره من الحفاظ قال البخاري: عن أبي الزعراء هذا: «لا يتابع على حديثه» وذكر الكلام الذي ذكره الشارح. وقال نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد.

قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين»[(١)].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف**»[(٢)].

وأخرجه ابن أبي عاصم والأصبهاني عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس**»[(٣)].

وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء[(٤)].

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن أبي الجدعاء قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قالوا: سواك يارسول الله قال: سواي**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (١/٢٦٤/١٠٥٠٩) قال الهيثمي في (المجمع) (١٠/٣٧٩) «وفيه من لم أعرفهم».

(٢) قال الهيثمي في (المجمع) (١٠/٣٨١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

(٣) عزاه المنذري في (الترغيب) (١/٦٠) للأصبهاني وقد صدره بـ (رُوي) التي هي علامة الضعف كما نبه على ذلك في المقدمة.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤١٦) وابن ماجه (٤٣٨٤) وابن حبان (٦٤٦، موارد) =

قال القرطبي: يقال إنه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعاً، ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر(١)، قلت: ويقال إنه أويس القرني كما جاء في بعض الروايات(٢). انتهى.

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**إن من أمتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته، ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته. ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته**»(٣).

وأخرج الطبراني عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: لا تزال

= والحاكم (١/٧٠ ـ ٧١) وغيرهم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٢٥٤٠).

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٩) وسنده ضعيف مع إرساله وللحديث طريقًا أخرى صحيحة إلى الحسن أخرجه أحمد في (الزهد) (ص٣٤٣) وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص٣٤٤) والحاكم (٣/٤٠٥) وهو مرسل من الثلاث الطرق إلى الحسن. راجع الشفاعة لمقبل (ص١٧٤، ١٧٥).

(٢) في طريق أحمد السابق. قال الحسن: وكانوا يرون أنه عثمان رضي الله عنه أو أويس رضي الله عنه.
وفي طريق عبد الله بن أحمد. قال الحسن: هو أويس القرني. والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٤٠) وأحمد (٣/٢٠، ٦٣) قال الألباني في تخريج المشكاة (٥٦٠٢) إسناده ضعيف.

الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار، حتى إن إبليس يتطاول لها رجاء أن تصيبه[١].

والحاصل أن شفاعة الناس بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى، والقرآن يشفع لأهله[٢]، والإسلام كذلك، والحجر الأسود يشفع لمستلمه[٣].

ولكن[٤] **﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾**[٥]. **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾**[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (١٠/٢٦٥/١٠٥١٣) قال الهيثمي في (المجمع) (١٠/٣٨٠) رواه الطبراني موقوفًا وفيه كثير بن يحيى صاحب البصري وهو ضعيف.

(٢) مر تخريجه

(٣) لعله يقصد ما أخرجه أحمد (١/٢٦٦) وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٣٦) وابن حبان (١٠٠٥ موارد) وغيرهم من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين فيشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق».
وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٨٠).

(٤) فالشفاعة لها شرطان: الأول: إذن الله للشافع أن يشفع والثاني: رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل الإيمان. (ف).
«ويستثنى من المشركين أبوطالب، فإن النبي ﷺ يشفع له حتى يصير في ضحضاح من نار كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة». والله أعلم.

(٥) الأنبياء: ٢٨.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الأشعري عن النبي، ﷺ، قال: **«إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة»**(١) وفي لفظ **بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبين الشفاعة لأمتي، واخترت الشفاعة، قال: وهي لكل مسلم»**(٢).

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط عن بريدة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: **«إني لأ شفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من شجر ومدر»**(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤١) وأحمد (٦/ ٢٨، ٢٩) وابن حبان (٢٥٩٣) وغيرهم وله طرق أخرى عند ابن ماجه (٤٣١٧) وابن أبي عاصم في (السنة) (٨٢٠) والحاكم (١/ ١٤) وله طرق أخرى عند ابن خزيمة (ص٢٦٧) وابن حبان (٢٥٩٢ موارد) والحاكم (١/ ٦٧) وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٨٦) وصحيح ابن ماجه (٣٤٨٥) وتخريج السنة (٨١٨، ٨١٩) (٨٢٠، ٨٢٩).

(٢) اللفظ المذكور رواية عند الطبراني في (الكبير) (١٨/ ٥٨/ ١٠٧) وفيه فرج بن فضالة على ضعف فيه وابن عبد كلال أورده ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٣٩٨) برواية مسلم بن عامر ولم يذكر فيه شيئًا. ويضاف إليه أبو راشد الحبراني كما في هذا الإسناد والله أعلم.

(٣) حديث بريدة أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٧) ولفظه «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما في الأرض من شجر ومدر» قال الهيثمي في (المجمع) (١٠/ ٣٧٨) «رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف كثير في أبي إسرائيل الملائي».

وقال الهيثمي في (المجمع) (١٠/ ٣٧٩) ورواه الطبراني في الأوسط «وفيه سهل =

وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(١).

وقال جابر ـ رضي الله عنه ـ من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله، ﷺ، لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره.

وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً مازلت أشفع إلى ربي ويشفعني، وأشفع ويشفعني حتى أقول أي رب شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد هذا لي وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحداً يقول: لا إله إلا الله(٢).

= ابن عبدالله بن بريدة وهو ضعيف» ولفظه «والذي نفسي بيده لشفاعتي أكثر من الحجر والشجر».

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٣٤٧٩) وغيرهما وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٣٦٠٨) وأخرجه أبو داود (٤٧٣٩) وأحمد (٣/ ٢١٤) وغيرهما من حديث أنس بإسناد جيد كما قال الألباني في (تخريج السنة) (٢/ ٤٠٠) وصححه بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة) (٨٢٨) وصححه الشيخ الألباني.

فصـــل

في ذكر الأعمال الموجبة لشفاعته، ﷺ، وفضل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة، وأتم السلام، فنقول وبالله التوفيق:

قد أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال: «**ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١).

وأخرج أيضا عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ، من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة(٢).

وأخرج الترمذي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**من استطاع أن يموت**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٠) وأحمد (٢/٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤) (٤٧١٩).

بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»(١).

وأخـرج الطبراني عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ، ﷺ ، قال: « **من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي ، وكان يوم القيامة من الآمنين»**(٢).

وأخرج الطبراني بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ، ﷺ : «**من صلى علي حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»**(٣).

وأخرج الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً: «**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»**(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩١٧) وابن حبان (١٠٣١ موارد) وأحمد (٢/ ٧٤، ١٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩١).

(٢) أخـرجـه الـطبراني في (الكبير) (٦/ ٢٤١/ ٦١٠٤) قال الهيثمي في (المجمع) (٢/ ٣١٩) «وفيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك».

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير) كما قال ابن القيم في (جلاء الأفهام) (ص٦٣) عن خالد بن معدان عن أبي الدرداء به.
قال المناوي في (فيض القدير) (٦/ ١٧٠) «قال الحافظ العراقي فيه انقطاع.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد لكن فيه انقطاع لأن خالد لم يسمع من أبي الدرداء» وذكر السخاوي في (القول البديع) (ص١٢١) نحوه وزاد «وأخرجه ابن أبي عاصم وفيه ضعف».
والحديث حسنه الشيخ الألباني في (صحيح الجامع) (٦٢٣٣).

(٤) أخـرجـه الـترمذي (٨٨٤) وابن حبان (٢٣٨٨ موارد) وقال الترمذي «حسن غريب». قال الألباني في (تخريج المشكاة) (٩٢٣): إسناده ضعيف.

وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعاً: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»(١).

وأخرج البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة(٢). والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا(٣). وبالله التوفيق.

ولما أنهى الكلام على المسائل المتفق عليها عند أئمة السلف صرح في آخر نظمه بأن هذا اعتقاد أئمة المذاهب الأربعة، وهم الإمام الأعظم إمام السنة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل

---

(١) أخرجه البزار (١١٩٨) (كشف الأستار) قال الحافظ ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) (ص٢٨) حديث ضعيف منكر ساقط الإسناد لا يجوز الاحتجاج بمثله.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/٢٢٨ منحة المعبود) وعنه البيهقي في (سننه) (٥/٢٤٥) قال الحافظ ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) (ص٧٩) الذي هو أحسن مرجع لهذا الحديث.
هذا الحديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة إسناده واضطرابه). فليراجعه من شاء.

(٣) قال العلماء لم يصح في زيارة قبر النبي ﷺ بخصوصه حديث واحد انظر (قاعدة جليلة) لابن تيمية (ص٥٧) و(الصارم المنكي) لابن عبدالهادي (ص١٥٣).
لكن تدخل زيارة قبره ﷺ ضمن مشروعية زيارة القبور إذا لم يقترن بها شيء من المخالفات والبدع، مثل شد الرحال والسفر إليها لعموم قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» أخرجه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

الذين انعقد الإجماع على تقليدهم من ستمائة سنة إلى يومنا هذا.

حكى ذلـك غير واحد من أفاضل العلماء منهم تقي الدين ابن تيمية، وابن هبيرة الحنبلي وهو قول جماعة من أكابر العلماء من فقهاء أصحابنا وغيرهم، مستدلين بقوله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[١] وكذا لما سئل الإمام الشافعي[٢] عن الإجماع هل هو حجة قال: نعم، لقوله تعالى: **﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾**[٣] الآية، قال: ولم يتوعد الله سبحانه إلا على ترك واجب، وعلى ذلك نص كثير من العلماء على أن إجماع هؤلاء الأئمة الأربعة حجة[٤] واختلافهم رحمة، لأن الحق لا يخرج عنهم[٥]، لقوله، ﷺ: **«اختلاف أمتي رحمة»**[٦] فيجب تقليدهم في الفروع[٧]، لا سيما في زماننا هذا، بل يحرم الاجتهاد، ولتعذر معرفة شروطه:

---

(١) الأنبياء: ٧.

(٢) انظر (سير أعلام النبلاء) (١/٨٣ - ٨٤) و(تفسير ابن كثير) (١/٥٥٥).

(٣) النساء: ١١٥.

(٤) هذا فيه: نظر لأن الحجة في إجماع علماء الأمة. (ف).

(٥) هذا الحديث لم يثبت ولا يسلم له قوله: إن الحق لا يخرج عنهم لأن العصمة بإجماع الأمة. (ف).

(٦) لا أصل له: قال المناوي في (فيض القدير) (١/٢١٢) (وليس بمعروف عند المحدثين ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. راجع الضعيفة (٥٧).

(٧) للضرورة. (ف).

قلت: هذا[١] في المقيد، وأما في المطلق[٢] فلا، ولا قائل به الآن، ومن ادعاه في هذه الأزمنة كذب لأنه نادر، والنادر لا حكم له.

مع أنا نقول إن الأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة. للحديث. انتهى.

والحاصل أن الواجب على العامي مثلي تقليد أحد هؤلاء الأئمة الأربعة الذين انعقد الإجماع على تقليدهم في الفروع والأصول، إذ الحق لا يخرج عنهم، ولأن معنى الكتاب والسنة مندرج تحت مذاهبهم، فمن ذلك صار اختلافهم رحمة، وإجماعهم حجة، فتحرم مخالفتهم، بل يجب تقليد واحد منهم، وهي رواية قوية أخذ بها جمع كثيرون من أصحابنا الحنابلة وغيرهم، فمقلدهم مثاب مأجور، إذ هو الحق على القول المشهور.

وقد قلت في ذلك بحثاً ضمنته في بيتين، وهما:

قلت والتقليد ليس بمنكر ... إذ المؤذن مقلد في الأشهر

ولا زال أصاغر الصحابة ... تقلد الكبار من ذوي الإصابة

وقد ألف بعض أفاضل متأخري الشافعية وهو العلامة المحقق

---

(١) أي المنع في الاجتهاد المقيد الذي هو الاجتهاد في المذهب بالترجيح ومعرفة الدليل.

(٢) يعني استنباط الأحكام من الأدلة. (ف).

الشيخ الصوفي حسين الدوسري كتاباً لطيفاً رد فيه على من ادعى الاجتهاد وهو قاصر عنه، مفيد جدًّا سماها (القول السديد في حرمة الاجتهاد ووجوب التقليد) فليراجع.

فلما كان كذلك، قال الناظم: رحمه الله:

هـذا اعتقـاد الشافعـي ومالـك

وأبـو حنيفـة ثـم أحمـد ينقـل

(هذا) الذي ذكرته بنظمي، واعتقدته بقلبي من أمهات مسائل الاعتقاد، ومما أجمع عليها المسلمون الحاضر منهم والباد، هو (اعتقاد) الإمام محمد بن إدريس (الشافعي) واعتقاد الإمام عالم دار الهجرة (مالك) بن أنس، (وأبو حنيفة) الإمام الأعظم النعمان (ثم) صرح بأن هذا اعتقاد إمام السنة وقامع البدعة إمامنا (أحمد بن حنبل الشيباني) رحم الله الجميع ـ ورضي عنهم ـ ونفعنا بعلومهم وأعاد علينا من بركاتهم.

ثم قال الناظم: (ينقل) بضم الياء إشارة إلى ما نقله عنهم أئمة النقل الذين دونوا مذاهب السلف، ولكل من هؤلاء الأئمة الأربعة فضائل لا تحصى، قد دونت في مجلدات، ففي هذه الأبيات إشارة إلى أن ما ذكرناه في هذه العقيدة أنه مما اتفق عليه الأئمة الأربعة المذكورون ـ رضي الله عنهم ـ. وممن حكى عنهم مقالات السلف ممن تقدم ذكره فكل منهم الحق[1].

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب فكل منهم معه الحق.

وإن كان قد وقع الخلاف بين الشيخ أبي الحسن الأشعري شيخ أهل السنة[١] من الشافعية وغيرهم، وبين الإمام أبي حنيفة في آخر من أصول مسائل الدين[٢] لكنها يسيرة لا تقتضي تكفيراً ولا تبديعاً.

وقد نظم الشيخ تاج الدين السبكي هذه المسائل المختلف فيها في أبيات فائقة ذكرها في آخر كتابه المسمى بالسيف المشهور في عقيدة الأستاذ أبي منصور تركناها هنا إيثاراً للاختصار، وقد جمع بعض الفضلاء وفيات هؤلاء الأئمة الأربعة في بيت مفرد بقوله:

فنعمانهم قان وطعق لمالك

وللشافعي درورم لابن حنبل

ثم حث الناظم رحمه الله على اتباع هؤلاء الأئمة في الأصول والفروع، لما تقدم في البيت قبله، فقال:

فإن اتبعت سبيلهم فموفق

وإن ابتدعت فما عليك معول

(فإن اتبعت) أيها الأثري (سبيلهم) القويم ومنهجهم المستقيم، والسبيل هو الطريق الواضح وهي المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، لحديث تركتكم على المحجة البيضاء. الخ.

والمعنى فإن اتبعت أيها المعتقد لطريق سبيل هؤلاء الأئمة واقتفيت أثرهم فاعتقدت ما اعتقدوه وأسست قواعد مذهبك على ما حرروه

---

(١) في هذا مبالغة. وإنما يقال صار من أهل السنة بعد توبته لا أنه شيخهم. (ف).

(٢) في العبارة ركاكة. (ف).

وقـرروه؛ فأنت بذلـك الاتبـاع على منهـاج السنـة النبوية متمسكا بالعقيدة السلفية المحمودة المرضية (موفق) للاقتداء بالكتاب والسنة ومـا أجمـع عليه سلف الأمـة (وإن) أبيت الاتباع فابتدعت فأولت الاستواء بالاستيلاء، والنـزول بنـزول أمـره ورحمته ونحو ذلك، وجعلت كلام الله عبارة أو حكاية عنه، وأولت صفة اليدين بالنعمة ونحـو ذلك من صفاته المقدسة، ولم تسلك سبيل الإقرار والإمرار، وخرقت بذاك إجماع السلف الصالح الأخيار، ونبذت الكتاب والسنة والآثار، ورغبت بجهلك عن عقيدة السلف، ورضيت بما زخرفه لك الخلف، (فما عليك) بذلك (معول) بما اعتقدته لأنك أبيت الاتباع، ودنت بالابتداع، وخرقت الإجماع، ورضيت لنفسك بالمراء والجدال والنزاع، فنودي عليك بالمكابرة والابتداع.

فائدة: وروى أبو داود بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله، ﷺ: **«ثـلاث من أصـل الإيمان: الكفـ عمن قال: لا إله إلا الله لا نكفره بذنب[1] ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالقدر»**[2].

---

(١) يعني دون الشرك أو ترك الصلاة متعمداً وإن لم يجحد وجوبها على الصحيح. (ف).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في (سننه) (٢٣٦٧) وعنه أبو داود (٢٥٣٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٣١) وعندهما (والإيمان بالأقدار).

تنبيـــه

قال الإمام النووي في شرح مسلم على قوله، ﷺ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به[1]: فيه بيان ما اختصر في الروايات الأخر من الاقتصار على قول لا إله إلا الله.

وفيه دلالة ظاهرة لمذاهب المحققين والجماهير من السلف والخلف، أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافاً لمن أوجب ذلك وجعله شرطاً في كونه من أهل القبلة وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا إذا تعلمها:

وهذا المذهب قول كثيرين من المعتزلة وبعض المتكلمين: وهو خطأ ظاهر. فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل، ولأن النبي، ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢١) من حديث أبي هريرة واللفظ المذكور لمسلم (٢١) (٣٤) وأخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر. قال الألباني في (الصحيحة) (٤٠٧) «هو حديث متواتر كما قال السيوطي في (الجامع الصغير) (١٦٣٠) فقد ورد عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة فليراجعه من شاء.

اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل، وقد تظاهرت أحاديث في الصحيح يحصل بمجموعها التواتر بأصلها، والعلم القاطع القطعي.

وقد تقدم ذكر هذه القاعدة في أول كتاب الإيمان انتهى[1].

قال الشيخ العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه المسمى بالبهجة:

المسألة الثالثة: في عدم خلود العصاة من الموحدين في النار، وإن ماتوا من غير توبة، وذلك مذهب أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره**﴾[2]: ونفس الإيمان عمل خير لا يمكن أن يرى جزاؤه قبل دخول النار ثم يدخل النار لأنه باطل بالإجماع، فتعين الخروج من النار، قاله السعد التفتازاني.

والأحاديث الصحيحة الآتية المصرحة بعدم خلود أهل التوحيد:

قال السعد: وذهبت المعتزلة إلى أن من دخل النار فهو خالد فيها لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة، إذا بل المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة إذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار، وصاحب الكبيرة بلا توبة مخلد في النار وهو مذهب باطل معارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود، قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إنه**

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ٢١٠ - ٢١١) بتصرف.
(٢) الزلزلة: ٧، ٨.
(٣) الكهف: ١٠٧.

من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[١]، فالجنة إنما هي محرمة على المشرك، ومساواة غير المشرك بالمشرك غلط ظاهر.

أخرج الشيخان عن عتبان بن مالك الأنصاري أن النبي، ﷺ، قال: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

وأخرج الشيخان عن أبي ذر قال: قال لي النبي، ﷺ: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زني وإن سرق قال: وإن زني وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**»[٣] قال: وأنا أقول وإن رغم أنف المعتزلة.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني مثله من حديث أبي الدرداء وآخره وإن رغم أنف أبي الدرداء[٤].

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله، ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرمه الله على النار**»[٥].

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) مر تخريجه

(٣) مر تخريجه

(٤) أخرجه البزار (كشف الأستار) وقال: (وهذا أحسن أسانيد أبي الدرداء لأن الحسن كوفي مشهور وزيد ثقة وإسناده صحيح. وأخرجه أحمد (٦/٢٤٢) وفيه ابن لهيعة وأخرجه أيضا (٦/٢٤٧) ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩).

وأخرج عن معاذ بن جبل أن النبي ، ﷺ ، قال : **«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار، قلت: يا رسول الله ألا أخبر الناس فيستبشروا ؛ قال: لا ، إذاً يتكلوا . فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً»**(١) .

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ، ﷺ ، قال: **«لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد كان في قلبه مثقال حبة من كبر»**(٢) .

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ، ﷺ : **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»**(٣) .

وأخرج أيضاً عن جابر قال: أتى النبي ، ﷺ ، رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان، قال: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل**

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٠) ولفظه عندهما «قال إذا يتكلوا» قال الحافظ في (الفتح): وهو جواب وجزاء (١/ ٢٢٧) أي إن أخبرتهم يتكلوا وأخرجه البخاري (١٢٩) بلفظ قال: لا إني أخاف أن يتكلوا فهذه صريحة في النهي .

(٢) أخرجه مسلم (٩١) (١٤٨) ولفظه (ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء) .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣٨) ومسلم (٩٢) ولفظه سمعت رسول الله ﷺ : «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» وقلت أنا : «ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» . القائل هو ابن مسعود إذن عزو الشارح هذا الحديث لابن مسعود مرفوعًا خطأ إنما هو من قول ابن مسعود .

الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»(١).

وأخرج الحاكم عن عمر سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**إني أعلم كلمة لا يقولها عبد من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار، لا إله إلا الله**»(٢).

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان عن النبي، ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٣).

قال الحافظ السيوطي والأحاديث في ذلك زائدة على حد التواتر(٤)، وأخرج الترمذي وحسنه الحاكم وصححه عن أنس عن النبي، ﷺ، قال: «**يقول الله تعالى: اخرجوا من النار من ذكرني يوماً، أو خافني في مقام**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣) وقوله: (الموجبتان): معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار».

(٢) أخرجه الحاكم (١/٧٢) من طريق قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفان عن عمر بن الخطاب به وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
قلت: لم يخرج لمسلم بن يسار وقتادة لم يسمع من مسلم بن يسار كذا قال يحيى بن معين. وقتادة مدلس وقد عنعنه والله أعلم.

(٣) مر تخريجه
وقد أخطأ الشارح في عزوه الحديث للشيخين إنما أخرجه مسلم فقط.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٩٤) والحاكم (١/٧٠) وابن أبي عاصم في (السنة) (٨٣٣) وغيرهم وضعفه الألباني في تخريج السنة. وفي (ضعيف الجامع) (٦٤٥٣).

وهذا آخر ما تيسر جمعه، فنسأل الله العظيم أن يعم نفعه آمين.

ونسأل الله العظيم، باسمه العظيم وبجاه[1] نبيه الكريم أن يسلك بنا صراطه المستقيم وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشائخنا ولكافة المسلمين إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وله الحمد على كل حال، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال مؤلفه سامحه الله تعالى فرغت من جمعه وتعليقه ضحوة الثلاثاء نهار ثلاثة وعشرين من جماد الأول **١٢٦٣** من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه.

---

(١) هذا وأمثاله من التوسل المبتدع: والله يقول: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥] أي: بالأعمال المأذون بها شرعًا، إذ العبادات توقيفية: بمعنى أنه لا مجال للرأي فيها.

الفهـــرس

كتب .. تحت الطبع

* تفسير الفاتحة وجزء عم	الشيخ / محمد بن صالح العثيمين
* أسباب شرح الصدور لابن القيم	تحقيق / محمود سرحان
* المرأة الأولى	الشيخ / عبدالله المرزوق
* تحريم القتل وتعظيمه للمقدسي	تحقيق / ناصر الرحيان
* التوحيد للمقدسي	تحقيق / مصعب الحايك
* بيان تلبيس الجهمية	شيخ الإسلام ابن تيمية
* الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به	د / عبدالكريم الخضير
* التفريق بين الأصول والفروع	د / سعد الشثري
* معرفة أوقات العبادات	خالد بن علي المشيقح
* مجموعة خطب	د / سليمان بن حمد العودة
* حكم التداوي بالمحرمات	ساعد بن عمر غازي
* كشف الغطاء في الوقف والابتداء	الشيخ / صابر حسن أبوسليمان
* الأحباش	حجاج بن عبدالله العريني
* فوائد من قصة يوسف عليه السلام للشيخ عبدالرحمن السعدي	تحقيق عبدالعزيز العسكر
التعليق على منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة	فضيلة الشيخ / عبدالرحمن السعدي
* قصص الأطفال (دراسة نقدية إسلامية)	حبيب المطيري
* الوفاة وعلاماتها بين الفقهاء والأطباء	د. عبدالله الحديثي